المشرق

السنة الثلاثون — ايار ١٩٣٢

الرهبانية والعلم

بمناسبة التذكار المئوي الثاني لتثبيت القانون الرهباني

١٧٣٢ - ١٩٣٢

بقلم الاب بطرس ساره الراهب اللبناني ، رئيس دير كفيفان

مقدمة

مئتان وسبع وثلاثون سنة مرّت على نشأة الرهبانية اللبنانية ، فحان لها ان تقف وقفة من قطع شوطاً بعيداً من الحياة ورأى من كوارث الايام وصروف الحدثان ما يرجع به الى نفسه ويفتح امام عينيه تاريخ تلك الحقبة التي جازها ولا اشهى على قلب الرهبانيـــة ، بمناسبة التذكار المئوي الثاني لتثبيت قوانينها من ان تقف وقفة المتأمل لدى كل مرحلة من مراحلها مدة القرنين والنصف تقريباً ، وتنظر بعين الروية الى ما اتته

من اعمال مفيدة في جنب الكنيسة والبلاد ، وما عرض لها من حوادث الدهر ، فتستفيد لذةً وعبرةً ، وتنشط الى السير في طريق التقدم والنجاح متأثرة خطى افرادها الاماثل الناشرين لواء العلم والعمل والحافل تاريخهم بجلائل الاعمال واطيب الآثار .

ومن اهم تلك المراحل التي قطعتها الرهبانية مرحلة العلم والتعليم . فانها وان كانت غايتها الاولية النسك والتقشف ، كما ارادها عمدة مؤسسيها المثلث الرحمات المطران عبدالله قراعلي ، فهي مع ذلك لم تكن لتهمل العلم وما يرجع اليه من اعمال الرسالة وغيرها من الاعمال الجليلة . على ان مقالنا هذا لا يفسح لنا المجال للاستفاضة في هذا الموضوع الهام لنأتيه من ابوابه ونحيط باطرافه ، فنقتصر على ما اتته الرهبانية من الوجهة العلمية من الخدم في جنب الدين والوطن بفتحها المدارس المجانية ، مستطردين الى ذكر من اشتهر من ابنائها في العلم والتأليف ، ووضع الكتب وترجمتها ، ونسخ المخطوطات القيمة ، وانشاء المكاتب والمطابع ، الى غير ذلك مما له علاقة بالموضوع .

المدارس الابتدائية

كل يعلم ما شأن المدرسة الابتدائية وما اهميتها ، اذ هي في البناية العلمية حجر الزاوية والاساس الذي اذا كان متيناً قامت عليه البناية ثابتة غير متزعزعة ، ففي تلك المدارس يتشرب التلميذ المبادي الدينية الشريفة وينفتح قلبه الى تلقن العلوم الاساسية متمشياً على سنن الآداب والتقوى الصحيحة ، فترسخ في ذهنه تلك المبادئ وتكون له عدةً قوية في تنشئته واستدراجه مدارج العلم والترقي في مستقبل الايام . وما اصدق المثل القائل : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » . فهو مصداق لاهمية هذه المدارس وضرورتها . ولذلك رأى مؤسسو الرهبانية ، وهي بعد في مهدها ، ألّا يهملوا هذا الواجب المقدس رغم قلة عددهم وفقرهم وتحصنهم في العزلة والتنسك ، فوجهوا الى تلك الغاية النبيلة جميع ما لديهم من الوسائل ، وما عرفوا به من عالي الهمة وشديد الغيرة . ولا غرو ان يكونوا مقتدين بذلك العلامة الشهير الذي اثبت قانونهم للمرة الاولى ،

اي المثلث الرحمات البطريرك اسطفانوس الدويهي . فان هـذا البطريرك العظيم بعد ان اتمّ دروسه في عاصمة الكثلكة ، وعرض عليه اشرف مركز في مدرسة انتشار الايمان ، ابى الّا ان يرجع الى لبنان ،وطنه العزيز ،وان يتخصص لتعليم الاحداث في مسقط رأسه اهدن[1] . على مثاله نسج المؤسسون ولا سيما وقد رأوا ان البلاد كانت في مسيس الحاجة الى تلك المدارس . ومن طالع تاريخ تلك الايام وقف على هذه الحقيقة ، وأقرّ بفضل الرهبانيـة ونبل غاية مؤسسيها وابنائها الغُيُر على مجد الله تعالى وخير القريب .

واليك صفحة تاريخية تبين لك ما كانت عليه حالة البلاد من كساد العلم في تلك الايام . اننا لا نكاد نرى مدة القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى وبعض القرن التاسع عشر ، أثرًا للتعليم والمطالعة في غير دور الامراء والحكام وبيوت الاعيان والمراكز الاكليريكية ؛ والسواد الاعظم من الشعب كان يجهل القراءة والكتابة . وما كنت ترى في القرية ، مهما كثر عدد سكانها ، سوى اثنين او ثلاثة عارفين القراءة . واكثر قراءتهم بالاحرف السريانية التي كانت اكثر اتقانًا وشيوعًا لانها اللغة الطقسية المتداولة . وكانت علامة العالم عندهم انه ينقل بزناره على الجانب الايسر تحت الابط دواة من نحاس ، ليراه الناس ويعرفوا انه « قاري كاتب . »

هذه كانت حالة البلاد من الجهل والافتقار الى مدارس ابتدائية يتمكن فيها الطالب من اتقان القراءة والمراسلات الضرورية وبعض القواعد الحسابية ممّا يستعين به على التصرّف بين الناس ومعاطاة الاشغال التي لا يمكن الاستغناء عنها . فسدًا لتلك الثلمة وقيامًا بهذا الواجب ، شرع آباء الرهبانيـة بانشاء المدارس فما شادوا ديرًا الّا هتموا بانشاء مدرسة بالقرب منه لتعليم الاحداث واجبات الديانة الكاثوليكية والقراءة والكتابة باللغتين العربيـة والسريانية ومبادي علم الحساب . بهذا كانت منحصرة موادّ التدريس وبها كفاية الطالب لقيام معاشه وتقرير حالته في وسط لم يكن يستلزم اكثر من ذلك .

---

١) راجع ترجمة الدويهي : ص ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤

اما نظام المدرسة فكان واحداً ، مشابهاً بوجه التقريب لبعض مدارسنا الابتدائية الحالية : يأتي الاولاد صباحاً الى كنيسة الدير لسماع القداس ثم يتوجهون مع معلمهم الراهب الى مكان معين يجتمعون فيه ، وفي العشي يرجعون الى الدير لحضور صلاة المساء . ثم ينصرفون الى بيوتهم بعد ان يزوّدهم معلمهم نصائح غايتها حسن سلوكهم البيتي . يتفيئون في الصيف ظلّ شجرة تكون لهم بمثابة درس ومدرسة . ومن هنا دعيت المدرسة الابتدائية عندنا « بمدرسة السنديانة » . وفي الشتاء يأوون بيتاً معيناً هو المدرسة ولم يكن من صفوف في التدريس كما هي الحالة اليوم . فان الولد كان يدرس مستقلاً عن سواه من ارفاقه بورقة او بكتاب (لوحده) وقد يتفق ان يدرس اثنان او ثلاثة في كتاب واحد . واول ما يُبدأ به درس مبادئ اللغة السريانية ومتى تمكن الطالب من قراءة الشحيمة يتدرّج الى مبادئ اللغة العربية ، ثم الخط العربي ، والسرياني اذا شاء . ومتى انتهى من قراءة المزامير او من قراءة كتاب يشاكله كالانجيل وغيره ، يُعطى بعض اوراق خطّ مثل مكاتيب وغيرها يتمرّن بها على قراءة الخطوط . ثم يدرس مبادئ علم الحساب وعندئذٍ يصبح كل درسه محصوراً بقراءة الخط والحساب ، ومتى اتمّ ذلك اعتُبر انه انهى دروسه فيخرج من المدرسة ، وقد بلغ اشدّه ، لمزاولة بعض الاعمال او الحرف بحسب حالته ومقامه لاجل تحصيل معاشه .

على هذا النمط كانت تسير المدارس الابتدائية (وعهدنا بها غير بعيد . وما زالت عليه بعضها حتى اليوم في بعض القرى) واذ رأى آباء الرهبانية ان في نظام المدرسة كما شرحنا مشقّة على الاولاد واستاذهم ، في مجيئهم الى الدير وذهابهم منه ، ولا سيما في ايام الشتاء ، قرروا ان تنشأ المدارس في القرى على هيئة الاديار هندسة وشكلاً مقدّمين نفقة البناء من مال الرهبانية . وجعلوا في كل مدرسة كاهنين او ثلاثة بحسب الحاجة يعلم احدهم الاحداث ويكون الثاني مساعداً له ويتعاطى في الوقت نفسه اعمال الرسالة ، ويكون الثالث بمثابة رئيس يهتمّ بشؤون المدرسة وادارتها . وقد سعوا في ان تقام في جنب كل مدرسة كنيسة لاقامة الفروض والصلوات البيعية والخدم الكهنوتية . ووضعوا

هذه المدارس تحت تدبير الرئيس العام مباشرةً .

وما مرّ على نشأة الرهبانية ردح من الزمن حتى انتشرت مدارسها في اكثر انحاء البلاد وما كان عددها بالقليل نسبة الى حالة الرهبانية ومقدرتها وعدد افرادها . ومما يدلّنا على غيرة ورغبة المؤسسين ومن خلفهم في انشاء تلك المدارس ، انهم جعلوها لازمة ، كما قلنا ، لكل دير او محل وُهبوه او انشأوه : وهبهم البطريرك اسطفان الدويهي دير مورت مورا مهد الرهبانية فاسسوا فيه مدرسة لتعليم الاحداث ؛ تملكوا دير القديس اليشاع النبي في الوادي المقدس ففتحوا فيه مدرسة لاحداث قرية بشري وجوارها ؛ تسلّموا دير مار يوحنا رشميا فاقاموا فيه مدرسة ما زالت حتى اليوم ؛ وُقف عليهم دير سيدة اللويزة فبنوا مدرسة بقرب قرية ذوق مصبح لتعليم اولاد هذه القرية ؛ وُهب لهم دير مار انطونيوس قزحيا ، واذ كان هذا الدير بعيداً عن القرى وطرقه صعبة وعرة ، ففتحت الرهبانية مدرسة لاولاد قرية العربه وجوارها كسرعل ، ومدرسة اخرى بين قريتي بان وكفرصغاب ؛ اعطيت دير مار بطرس كريم التين فانشأت فيه مدرسة للقرى المجاورة ؛ تملكت دير سيدة طاميش فخصصت كاهناً لاولاد المطيلب وبيت الشعار وديك المحدي ومزرعة يشوع وغيرها . ومثل ذلك في دير مار الياس شويا ، وسيدة مشموشه ، وقبرص.

وقد رأى آباء الرهبانية ان الحاجة تقضي بانشاء مدارس في المحال البعيدة عن الاديار ، فقرروا ذلك ، وفتحوا المدارس في عكا وصيدا وطرابلس وبيروت ، وبقيت مفتوحة ردحاً طويلاً من الزمن تجاوز اكثر من نصف قرن . ولما اقفلت هذه المدارس لسوء معاملة الحكومة التركية ، انشأ الرؤساء غيرها في القرى الآتية : وادي جزين ، وادي شحرور ، العبادية ، الشبانية ، راس المتن ، عين الزيتونة ، المتين ، بكفيا ، بجرصاف ، الفريكه ، بسكنتا ، زحله ، عجلتون ، غباله ، ميفوق ، حوب ، تنورين ، كفيفان ، معاد ، بصّه ، جبيل ، قرطبا ، بصرما ، عشاش ، بان ، عندقت (عكار) . ومن هنا نعلم ان انتشار مدارس الرهبانية قد عمّ انحاء البلاد . ولم يكن من عارف للقراءة والكتابة من ابناء القرى التي ذكرناها الّا كان متخرجاً في تلك المدارس.

ومما يدلنا على الاهتمام الجدي بهذه المدارس ان المؤسسين انفسهم كانوا يتولون بذاتهم ادارتها والتعليم فيها . وهذا عمدتهم الاب عبدالله قراعلي تكلف تعليم الاولاد صيف شتاء في مدرسة مورت مورا اهدن وفي مار يوسف زغرتا. وهذا الاب جبرايل فرحات الشهير قد تخصص ، وان بعد انفصاله عن رفقته ، لتعليم الاحداث في مدرسة مار يوسف زغرتا. وقد روى لنا تاريخ الرهبانية[1] ان النائب العام الاب جرجس قشوع كتب الى الاب العام مخايل اسكندر الاهدني ، يوم كان في رومية ، يطلب منه ان يرسل اليه كراريس سريانية مطبوعة للاولاد الدارسين في مدارس الرهبانية وهم عدد كثير. ولما خابر المسيو بون ، قنصل طرابلس الفرنساوي ، الاب العام توما اللبودي في شأن افتتاح مدارس ثلاث في عكا وطرابلس وغيرها لقاء مبلغ من الدراهم يقدمه المركيز دي سانتنيان (S^t Aignan) سفير فرنسة في رومية[2] ، رضي الرئيس العام بهذا الاقتراح وخابر في شأنه السيد السمعاني مشترطاً ان تكون الرهبنة مطلقة الادارة في هذا العمل تضع المدارس المنوي انشاؤها حيث تشاء ، وان يكون مرتب ادارة المدرسة لا اقل من ستمائة قرش سنوياً . وقد اصاب الرئيس كل الاصابة بوضعه هذين الشرطين لانهما يضمنان قيام المدرسة وثباتها . ولو تمشت الرهبانية في افتتاح مدارسها فيما بعد على رأي ذلك الرئيس الصائب ، لما كانت اضطرت الى قفل بعضها ، ولما وقعت في مشاكل وعراقيل نشأت عن عدم استدراك مثل تلك الشروط ، وكلفتها بذل الاملاك والاموال !

على انها ، رغم الضائقة المالية ورغم قصر يدها وقلة الاشخاص لديها ، ما زالت جارية على خطة مؤسسيها الاماثل ، باذلة جلّ مجهودها في فتح مدارسها الابتدائية في اكثر انحاء الجبل . وقد تسلم بعض ابنائها في هذه السنة ادارة المدرسة الخيرية في مدينة بيروت فقاموا بها احسن قيام ونالوا ثناء سيادة راعي الابرشية والاهلين ، واقبل الطلاب عليهم افواجاً.

ولما وضعت الحرب اوزارها ، حولت الرهبانية ديرين من اهم اديارها ،

---

١) تاريخ الرهبانية للاب لويس بليبل : المجلد الاول ، صفحة ١٥٩ عدد ٣٣.

٢) راجع تاريخ الرهبانية ، المجلد الاول عدد ٣٣ ص ٣٣٠.

هما دير سيدة مشموشة ودير سيدة ميفوق ، الى مدرستين ثانويتين تضمان عدداً غير قليل من التلاميذ لدرس اللغتين العربية والافرنسية بفروعهما. ومثلهما مدرستا رشميا وسيدة القلعة . يتخرج الطالب منها ومعه عدة كافية لضمانة مستقبله وتعلمه فناً او صناعة يكسب بها معاشه ومعاش عيلته ويستغني عن وظائف كثر طلابها وباتت البلاد تئن من باهظ رواتبها . فكانت تلك المدارس بتجهيزها الطالب عدته اللازمة والكافية أنسب لحاجة البلاد وافيد للحياة الاقتصادية التي نحن في اشد الحاجة اليها. على انه قد تقدم بعض طلاب مدرستي ميفوق ومشموشة الى الامتحان بين مئات التلاميذ المتقدمين لنيل شهادة الدروس الابتدائية في الحكومة اللبنانية فكانوا من الفائزين على سواهم. وهم ، ان دخلوا احدى المدارس الكبرى ، برزوا في ميادين الجهاد والنجاح.

والتاريخ اصدق دليل على ان مدارسنا تلك الابتدائية ، وان صغرت في عين الناظر بالنسبة الى غيرها ، فهي مع ذلك تجيء بالفوائد والخدم الجليلة في جنب الدين والدنيا. وحسبنا ان نذكر بعض من تخرجوا فيها وكانوا من المتوجهين البارزين بين قومهم في ذلك العصر واستحقوا ان يشغلوا المقامات العالية في السلطتين الدينية والمدنية : فكان منهم بطاركة مثل البطريرك يوسف الخازن ؛ . . ومطارنة كالمطران اسطفان الخازن الاول والثاني ، والمطران يوسف الدبس الذي كان يقرّ بفضل الاخ مارون البعبداتي عليه لانه اول من سعى في ادخاله المدرسة ، والمطران فيلبوس الجميل ، والمطران اغناطيوس مبارك وغيرهم . ومنهم رؤساء عامون كالاباء عمانويل الرشماوي ، واغناطيوس بليبل ، وعمانويل الجميل ، وافرام جعجع ، ويوسف السرعلي ، ومبارك المتيني ، وغيرهم ... ومدبرون ووجهاء واعيان ادّوا لبلادهم خير الخدم.

رجال العلم

ولو جئنا نعدد كل من ألف الكتب من ابناء الرهبانية ونسخ المخطوطات وترجم من لغة الى لغة ودبّج المقالات المفيدة وانشأ المكاتب لضاق صدر هذه العجالة ، فحسبنا ان نذكر من امتازوا بتآليفهم ، ومن تخصصوا لخدمة العلم

والادب . فهذا ناشر لواء لغة الضاد وباعث نهضتها بين ابناء امته وغيرهم من المسيحين ، البلبل الصداح بخطبه وقصائده الرنانة ، الضابط قواعد العربيـة ونحوهـا ببحثه الشهير وواضع احد معاجمها ، المثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات[1] ، من لا يزال ذكره حيًا وتآليفه الكثيرة القيمة خالدة ، وديوانـه الذي كان يتغنى به في ذلك الوادي المقدس اشهر من ان يعرَّف . وما زالت اقطارنا اللبنانية والسورية على اختلاف نحلها تفاخر بمآثره وتذيع آثاره . وستقيم له الشهباء مسقط رأسه ، في شهر تموز المقبل حفلةً باهرة يُزاح في خلالها الستار عن التمثال المنوي اقامته في باحـة الكنيسة المارونية تذكاراً لمئتي سنة مرّت على وفاته (تموز ١٧٣٢)[2] . وهذا زميله ورفيقه في رهبانيته الاب عبـدالله قراعلي ومذكّراته التاريخية الثمينة . وشرحه القانون الرهباني وعنوانه « المصباح اللبناني في شرح القانون الرهباني » ومواعظه ومنهـا نسخة في دير الكريم ، وكتابه الشهير في الفقه الحنفي الواقع في ثلاثة مجلّدات محفوظـة في المكتبة البطريركية في بكركي ، وقد نشر شيئاً عنها حضرة الفاضل الخوري يوسف زياده امين السر في البطريركية ؛ هـذا عدا اقواله الشجية واناشيده البيعية . وهذا توما اللبودي تلميذ الاب عبدالله وواضع ترجمته[3] ، ومنشئ الرسائل العديـدة المفيدة الدالّة على فكر ثاقب ونظر بعيد ودقّة فريدة ، وهي مع بساطتها تشتمل على فوائد تاريخية جمّة . والاب اروتـين الحلبي معرب شرح التعليم المسيحي المعروف (بالكاتيكيسمو رومانو) . والاب يواصاف الدبسي البسكنتاوي ومخطوطاته العديدة ، منها تعريب فلسفة ارسطو والخلاصة اللاهوتيـة ومؤلف كامل في الفلسفة بجميع فروعها وفي اللاهوت الادبي والنظري ما خلا ما ألّفه في الشؤون الطقسية والحق القـانوني ، وكان لاهوتياً ضليعاً وعالماً بذكائـه واجتهاده . وهاك ما كتب عنه في سجلات دير مار ساسين بسكنتا :

« قد انتقـل الى رحمة الله الخالدة المثلث الرحمـات قدس السيـد المعظم

١) راجع المشرق (٧ [١٩٠٤] ٤٩ ...)
٢) اطلب عدد كانون الثاني من « مشرق » هذه السنة ص ٤٩ .
٣) راجع المشرق (١٠ [١٩٠٧] ٦٢٥ ...)

والملفان المفخم الراهب اللبناني الاكرم المطران يواصاف فريد عصره منشئ الراهبات المذكورات ومرتبهن على القانون اللبناني رزقنا الله بركته وكان انتقاله في ٢٦ حزيران سنة ١٧٦٩ » . ويواكيم بلاديوس وكتابه في واجبات الرؤساء الذي لا يقلّ قيمة عن دستور الرؤساء للاب ڤالوي اليسوعي الذي نقله الى العربية الطيب الذكر الاب مبارك سلامه المتيني[1] . وغير هؤلاء من الآباء المتقدمين . امّا المتأخرون فانهم لا يقلون رغبة عمّن تقدمهم في التأليف والتحبير وانشاء المقالات المفيدة ووضع التراجم وترجمة الكتب وطبعها، الى غير ذلك مما له علاقة بالموضوع ولا ينفسح المجال لذكره فبالاشارة كفاية .

المكتبة

ولم يكتفِ اولئك العلماء بالاشتغال بالعلم بل تقيدوا بما وضعوه في فرائضهم القانونية من انشاء مكتبة الرهبانية وتنظيمها والمحافظة عليها وجمع الكتب والآثار الخطية اليها . فزار بعضهم عدداً من بلاد اوربة وافريقية كالأندلس والقطر المصري وغيره من الديار الشرقية وجمعوا كتباً خطية ثمينة نادرة ثم عهدوا الى رهبانٍ من ذوي الخطوط الجميلة في اللغتين العربية والسريانية بنسخ المخطوطات من خزائن الاديار والبيوتات واضافتها الى هذه المكتبة . ومن ذهب الى دير سيدة اللويزه ورأى تلك الخزائن التي كانت مملوءة من الكتب عرف ما كان لهذه المكتبة من الاهمية والفائدة حتى ذهب لها صيت في آفاقنا السورية . وهي ، وان اخنى عليها الدهر فذهب بكل كتاب نفيس منها عزّ وجوده ، فهي مع ذلك ما زالت مرجعاً وينبوعاً فياضاً يرده كل من شاء ان يعرف او ان يكتب شيئاً عن حوادث الرهبانية بفرعيها حلبية ولبنانية من تاريخ نشأتها الى زمن القسمة سنة ١٧٦٨ . وما زالت مكتبة دير رومية العامرة تصدع بفضل اولئك العلماء وآثارهم الطيبة .

المطبعة

ومن الخدم التي قامت بها الرهبانية في جنب العلم انشاؤها مطبعتين الواحدة

١) راجع المشرق (٢٠ [١٩٢٢] ٨٥٢)

في دير سيدة طاميش ، والاخرى في دير مار انطونيوس قزحيا . وقد طبعت فيها عدة كتب باللغتين العربية والسريانية . ونحن نأسف لان ظروفاً قاهرة اضطرت الرهبانية الى بيع الاولى وتوقيف الثانية عن العمل . على انها عادت ففكرت مؤخراً في احياء فن الطباعة بين ابنائها . وخصصت بعض الاخوة المستعدين لهذا الفن ، وجلبت مطبعةً لهم لم يمكنها ضيق ذات اليد من جلب اكبر منها ، وضعتها في مركز الرئاسة العامة لاجل القيام بما تحتاج اليه الرئاسة من طبع الرسائل والمراسيم وغيرها . وقد اصدرت عدداً غير قليل من الكتب العلمية والروحية . وفضل الرهبان في ما خطّوه من الكتب العلمية والطقسية ظاهر لكل ذي بصيرة . وقد وقفت بنفسي على عدة مخطوطات في مكتبة دير كفيفان من يد المرحوم الاب نعمةالله الكفري مؤلف الغراماطيق السرياني المعروف .

* * *

ولم تكن الرهبانية لتهمل العناية في ترقية ابنائها بالعلم الصحيح الى المستوى الذي يتطلبه هذا العصر . فانها على رغم ما تتكبده من النفقات الباهظة في جنب الاخوة الرهبان الدارسين ، ورغم ما تراه من الصدود والعقوق من بعضهم ممن يكونون قد اتموا دروسهم او كادوا وبلغوا اشدهم في التحصيل واستفادوا من الرهبانية دون ان يفيدوها بشيء ، فيقلبون راجعين الى العالم غير مشفقين على اوجاع ام احتضنتهم وعلمتهم كاعز الابناء ! . فانها على رغم كل هذا لم تدخر وسعاً في تهذيب ابنائها مضحية كل غالٍ ورخيص في هذا السبيل . فكانت ترسل من امتاز منهم الى مدرسة البروبغندا في رومية ليتخرجوا في العلوم اللاهوتية والفلسفية ، او تضعهم في الكليات الكبرى باذلة في جنبهم كل عناية واهتمام فهذه مدرستها في بيروت المنشأة من نحو اربعين سنة بفضل الطيب الاثر الاب مبارك سلامه المتيني[1] ، اول من نال شهادتي الملفنة في الفلسفة واللاهوت في المدرسة الاكليريكية الشرقية في كلية

١) راجع المشرق : المحل المذكور

القديس يوسف . وقد ترأس على الرهبانية فنفخ في ابنائها روح النهضة العلمية ، وكان من المتفانين غيرة على مصالحها وتعزيز قوانينها ، ففتح تلك المدرسة ليتخرج فيها الرهبان على حضرة الآباء اليسوعيين الافاضل من تشكر لهم الرهبانية كل الشكر عنايتهم وتفانيهم في جنب ابنائها وتقر بفضلهم وجميلهم مدى الحياة . فان الآباء المتخرجين على اولئك الاساتذة الاعلام هم عدد غير قليل تعتمدهم الرهبانية في اهم شؤونها وإحكام ادارتها .

ومن المفوقين بينهم قدس العلامة المفضال الاب مرتينوس طربيه ، الرئيس العام الحالي ، الحائز على شهادتي الاستاذية في الفلسفة واللاهوت بثناء اساتذته وفاحصيه . وهو الآن باذل جد العناية في تعزيز جانب العلم وتحريض الاخوة الدارسين على التحصيل رغم ما يصادفون من المصاعب ، غير مدخر وسعاً في بذل النفقات على اكثر من مئة راهب دارس في مدرستي بيروت ودير سيدة المعونات ، مركز الرئاسة ، حيث تتقن الدروس العربية والسريانية مع الفلسفة واللاهوت باللغة العربية وتقام الطقوس البيعية باجلى مظاهرها .

هذا بعض ما اتته وتأتيه الرهبانية في جنب العلم ، ولم تزل ، بما في صدر ابنائها من غيرة على اقتباس العلوم ورغبة شديدة في التعليم والتبشير ، مجدّةً بان تكون في المستوى الذي يتطلبه هذا العصر ، اذ تعزز مدارسها وتهذب ناشئتها بالفضيلة الحقة والعلم الصحيح ، فتهيئ لها عدة قوية كافية لكي تقف في صفّ الجنود البسلاء المجاهدين في الدفاع عن الحقّ لاجل خير الكنيسة والوطن .

الصحة في البلاد

ذكرى الامس وعِبرة اليوم

بقلم الحكيم الشيخ امين الجميّل

قد اخذَت مجلة المشرق الجليلة بوضع سلسلة مباحث من هذا النوع وشرّفتنا بالحلقة الصحية منها . فتردّدنا خيفة التكرار في موضوع طالما طرقناه ، ثم أطعنا املًا ان بالإعادة إفادة كما بالجديد بهجة وفكاهة .

كُتب للبشريَّة ان تبقى ابدًا عرضةً للشدائد ، وقُدّر للانسان ان تُحيط به العِلَل من كل نوع ومن كل صَوب ؛ فحُتِمَ على الجميع ان يُقيموا على الدفاع او الهرَب مستمرّين على الجهاد والسهَر . والعاقل من الافراد والحكومات مَن عمل على نَيل معظم الخير واتّقاء ما امكنه من الويل .

منذ الخليقة ظلَّ مَلِكُ الطبيعة عبدًا لأصغر المخلوقات ، فريسة لوثباته ، الى ان سطع في الاجيال الحديثة كوكبا جنَر وباستور .

كان ، الى امس ، اذا حلَّ الجدري او الطاعون او الهواء الاصفر بأرض فتك الموتُ ، واضطُرّوا الى فصل اقليم بتمامه بحواجز صحيَّة[1] . فكانت افعل على خنق التجارة وقطع الصلات منها على إيقاف الاوباء .

واما اليوم ففي العلم والعمل انقلاب ليس له مثيل . نفضح العدو في مخبئه ونخنقه في مهده . نعزل المريضَ لا الاقليم ، نعرف الجرثوم باسمه ومقرِّه فنسلّط

---

١) كان الحجر يطول الى «اربعين» يومًا ، ومنه لفظة «كورنتينا» ويُطلق على كل مَن وما اشتُبه به .

عليه النار او الادوية القاتلة ونحتاط بالنظافة والتطعيم فنأمن ونطمئن ونسلم. اذ ادركنا ان من الحشرات والطفيليات ما ينقل ويلقح شر الاوباء، وباهلاكها او تداركها هلكت الاوبئة الخاصة بها كالبراغيث (والجرذان) للطاعون، والقمل للتيفوس، والبرغش للبردا..

ولكن في عز هذا الرقي العصري العجيب ابن البخار والكهرباء والطباعة والصحافة، ربما نتجت عن هذا التقدم عينه محاذير عديدة وآفات جديدة لا بدّ من البحث في امرها لدرء مخاطرها.

جهد القوى

إن سرعة الاتصالات واشتداد تنازع البقاء، لازدياد المطامع وتكاثر النوافل مما لا نلبث ان نجعله من اللوازم، كل ذلك اودى بالمجتمع الى عناء متواصل وهمّ متلاحق وهذه حالة، اذا كانت النفس او الجسم عليها، هبطت بقواهما حتى السقام.

قبل خمسين سنة لم يذكر اسم ولا مسمّى الانحطاط العصبي المشهور بالـ *neurasthénie*، ولم يكن ما هو الآن من ازدياد عدد المجانين والمبتلين بالحالات العصبية والعقلية المضنكة. ولا عجب فانه لم يكن هذا التزايد في الاشغال الجسدية والانشغالات العقلية. والمجهودات والاضطرابات تزيد الحيوان عينه قبولاً للامراض، والجراثيم المرضية تصبح في مثل هذه الظروف أشيع وأفتك.

وهنا تظهر بكل بهائها فوائد القناعة والاعتدال، وشر الانانية والطمع.

لا جدال في ان العمل ضروري للانسان نافع لصحته، كما ان البطالة آفة لنفسه وجسمه. ولكن يجب ان يحدّ العمل والاستراحة، يوماً في الاسبوع وليلاً في اليوم، ونحو ثمان ساعات في النهار، مع وجوب تسهيله وتصحيحه. ويقتضي ان يتوافر في محيطه النور والنظافة وما تقر له العين واساليب تدارك الطوارئ والاسعاف. وليبعد غير الراشدين والضعفاء وذوي الامراض المعدية. وإنا نعدّ بين هؤلاء اولئك الفاسدي الاخلاق المتهجمين على الآداب والنظام، المبذرين

بالمبادئ الشيوعيّة ذات النتائج الماثلة التي نأتي على ذكرها بُعيد هذه العبارة. الويلُ لجماعة العَمَلة واصحاب المعامل اذا لم يَسُدْ في جَرْمِهم روحُ الاخاء الحقيقيّ وصدق العقيدة ، ولم يكن في عقليّتهم الايمان والرجاء والمحبة بمثابة قواعد وانظمة . وللقديس بولس ، وللاون الثالث عشر ، نظريات وتعاليم هي الحكمة بتمامها.

روى صديقان فاضلان أتيا حديثاً من روسية البلشفيكية ان العسر والضنك فيها على اشدّهما الى درجة انهما عندما يكتبان لاهل لهما هناك (لم يتمكّنوا من الهرب) يُضطرّان الى وضع ورَقة ومغلّف في رسائلهما ليتسنّى لذويهما الجواب! واخبَرَ قنصل جنرال احدى الدول كان من شهرين قنصلاً في لينينغراد ، التي اشتهرت باسم العاصمة بتروغراد وبالاحرى بطرسبرج ، انه كان يتّفق له ان يزوره بعض مَن كانوا مِن عليّة القوم ويطلبون منه فنجاناً من القهوة لم يذوقوها من سنتين او ثلاث . وحدّثني احد الرواة انه لم يبقَ هناك مظهرٌ للرفاهية واليسار فالملابس رثّة والاطعمة قليلة تافهة عسيرة المنال .

ولا يسعنا في هذا المقام الا التنويه بعكس ما تقدّم من فوائد رسل الأُلفة والسلام والرفق والحنان اي اعضاء الجمعيّات والجماعات الخيريّة الفاتحين للمستوصفات والمستشفيات القائمين بالمآوي والملاجئ المُديمين لضروب الإحسان . وممّا لا ريب في جزيل نفعه شركاتُ التعاضد والضمان (*assurances*) للطوارئ والامراض والبطالة والشيخوخة والموت عينه .

وليس أعمل لتحبيب العمل وإجادته وتخفيف عنائه واتعابه من الطموح الى غاية سامية تتشرّف بها المادّة والعمل الوضيع .

واذ نحن في هذا النحو أيجوز ان نصمت عن اللوائح المدرسيّة التي تطول وتتّسع يوماً يوماً حتى اصبحت كثيرة المادّة قليلة المائدة ، ثقيلة الزنة . يطالع الولد كثيراً ويرسخ في ذهنه القليل ، ذاكرتُه تحفظ وعقله لا يفقه ، يحفظ اليومَ وينسى غداً ؛ يأتونه بالترافه ولا يدقّقون في الاصليّات ، اللوازم .

ان تعليماً كهذا لصبغةٌ زائلة ونفحةٌ عابرة ؛ ونصف العلم مضرٌ . التهذيب والتربية على الآداب والأخلاق والمبادئ قبل الفلكيّات واللوغريتمات !

وفيات الاطفال

انتهينا من أخطار النساء المأجورات التاركات رضيعهن لإرضاع الغريب، فبرز خطر الإرضاع الصناعي «بالمصّاصة» كأن تقوم البقرة او العنزة في مقام الأم. ومن اين لهذا الحليب تركيب كتركيب حليب الام، ومن اين له ان يتدرج في الكثافة مع قوى الطفل الهاضمة كما هو الامر مع حليب الأم. ولهذه الطريقة شائبتان كبيرتان ايضاً: ان مثل هذا الحليب تحتله الجراثيم سريعاً ومن المكروبات ما سمّه اهول من سم الحيّة، وبالاخص في اقاليمنا الحارّة. وان عُقّم بقوة الإغلاء او شدّة الحرارة فهو يخسر تلك العناصر الضروريّة النماء والحياة؛ ولذلك لُقبت بالفيتامين. فضلاً ان بمثل هذا الإرضاع يُسلّم غالباً شأن الطفل لخادمة مأجورة. وحنان الامومة لا يُؤجر ولا يُشترى ولا يُعطى، فهو من وضع الله وحده.

مشكل المياه

إن للافراد في هذه الديار ولبعض البلديات نهضة حديثة حقيقة بكل تنشيط وبمزيد الاستحسان. عَنيت استنباط المياه والاتيان بها غزيرة وافرة. ولكن بعلّة ذلك أُنشئت الحياض و «الخزّانات» البيتية، وتوافرت الازهار والحمامات المنزليّة، وأُهمل المُستنقع. فكان عن ذلك سكونُ الماء واستنقاعه فتفاقم البعوض الى درجة شديدة الإزعاج كثيرة الاضرار حتى في اعلى الجبال. وكل مَن بلغ منا بعض العمر يذكر انه لم يكن شيء من ذلك في لبنان، ولم تكن تُستعمل فيه الناموسيّات الا للزينة في بيوت نادرة. وبالطبع انه لم يكن حمّى ضنك ولا برداء. واليوم نحن من ذلك في الضد. وفي سنةٍ سبقت بلغت اصابات ابي الركب عشرات الالوف حتى في القرى العالية. ولم يكن تُصب به قبلاً الا السواحل، وفي الفصول الحارّة (فصل البعوض).

يا للغرابة ان ترى الماء عنصر الحياة والخصب والجمال، وهو اساس النظافة وركن الصحة، أداة ازعاج ومرض وموت. ذلك اذا لم يكن وافراً ونقياً

وجارياً . قد نادينا بهذه المجلة غير مرة ان «مسألة الري قبل كل شيء.» وهي كذلك. ولكن لها قواعد ، فان لم تتقيّد بها جاءت النتيجة ويلاً ووبالاً. ونحن اليوم بأشد الضرورة الى الوقاية من دنس الينابيع واستبقاء المياه . ان الدموع الغزيرة التي أُريقت على الشبيبة التي ماتت في الخريف الماضي ، لتيفيَّة سبَّبتها جراثيم دخلت مع الاقذار الى الينابيع لقوم لم يحترموا حَرَم عيونهم ولم يحتاطوا بالتطعيم ، لم تنضب ولن تجفّ. ان البرغش سيدهمنا في كل صيف وخريف اذا لم نكافحه كما فعلت جميع الحكومات الحكيمة فتملصت من عذابه وضرره. فينبغي للجميع ان يعملوا بالخطة العصريَّة من تسييل المياه ووضع الاسماك وصبّ البترول ، حيث لم يبقَ خيول ولا تربية اغنام او دجاج منزليَّة يؤثرها البعوض ويفضّل كهوفها ودمها على منازل الانسان النيّرة ودمه.

البغاء

الفجور شرُّ الشرور وهو مميتٌ بالمعنى الديني كما بالمعنى الأخلاقي والصحي ، واكرر الصحي، لانه اصلٌ لعلل وادواء في جميع الاعضاء، ومن كل الاشكال. وما خلا العذابات المبرِّحة فان بعض انواع الأمراض الزهريَّة اكبر اسباب العقم وانقراض بعض الأسر. وبعضها يقتل سنوياً في بعض الممالك كل سنة ٤٠٠٠٠ من الناس.

لانحطاط الآداب وضعف التديّن ، قد اهملوا العفاف او الزواج في عزّ الشباب وعكفوا على البغاء ومالوا الى رفقاء البغاء من سكر ومُراهنات وتهتُّك وتفريط وغير ملاذ محذورة محظورة.

هذه هي الحالة. فان نحتفظ بما استفدناه من الماضي ، وان نحتط للمستقبل ، يكنْ العمر الطويل والهناء الجزيل والنمو العديد . وهل مَن لا يريد ذلك لقومه وبلاده ؟ وانتَ يا اخي، وانتِ ايتها الحكومة ، ان تُريدا فافعلا !

فتح العرب سورية

والجيش البيزنطي

بقلم الاب لامنس اليسوعي

مات نبي الاسلام في ٨ حزيران ٦٣٢ . فنشبت في بلاد العرب ثورة اهلية دامت سنة وعُرفت بحركة « الردّة » ارتدّ فيها كثير من العرب عن الدين الجديد . فقاومهم ابو بكر بشدّة وصرامة . وما كاد يخنق تلك الثورة ، في منتصف سنة ٦٣٣ ، حتى كان قد تألف عدد من شراذم البدو في المدينة وساروا في طريق فلسطين . ولم يكن بين زعمائهم من فكّر بان يستأذن ابا بكر او بأن يسأله رأيه في الامر . ولم يكن ابو بكر ليمتعض او ليتأثر من رحيلهم على ذاك الشكل . بل بالعكس فانه رأى فيه مُتنفساً لذاك الضغط الفكري وحلًّا موافقاً اذ ذاك ، وقد هاجت الخواطر وحرج الموقف على اثر انتخاب الخليفة الاول ، وما وليه من انتقام دموي شديد لقمع حركة الردّة.

وما عسى ان تصادف تلك الشراذم في مسيرها نحو الحدود الشمالية ؟ ستصادف دون شكّ حاجزاً كان يظهر شامخاً متعالياً ، حاجز الامبراطورية البيزنطية . ولكن ما وراء هذا الحاجز ؟ لا شيء يستحقّ الذكر سوى تذكار او اسم مشهور قديم هو اسم رومة. فان بيزنطية التي كانت تدّعي بانها تكمل الامبراطورية الرومانية ، كانت تحتفظ بالاسم القديم . وكان اسم « الروم » لا يزال يؤثر التأثير الشديد في ابناء القفر الساذجين . يبرهن عن ذلك ما نراه من مظاهر هذا التأثير في لغة العرب الحربية من مفردات عديدة « كابرج »

« والقصر » ... مأخوذة عن لسان اللاتين . ومــا نراه في القرآن ايضاً من تلميح الى ذاك النفوذ . فانّ السورة الثلاثين منه تُسمى « سورة الروم » يُشير فيها النبي الى انتصار الفرس على البيزنطيين ، ويتابع : « وهم (الروم) من بعد غلبهم سيغلبون . . . ويومئذٍ يفرح المؤمنون » . ويعني بالمؤمنين جمهور المسلمين . ومن ذلك ما نتحققه ايضاً في غزوة تَبوك ، وهي الغزوة الوحيدة التي قاد بها محمد رجاله الى جهة الحدود السورية ، فانه ، وهو الكتوم لغاياته الحربية عادةً المتحفظ في ذكر مقاصد غاراته ، تكلّم هذه المرّة واخذ يعدّ رجاله ويهيئهم قائلاً انــه يقودهم نحو الروم . كل هذا يدلّنا على ما كان للروم من تأثير في اذهان العرب اذ ذاك . ولكن لنعد الى ذكر الحاجز البيزنطي :

من حِنو الفرات المستدير نحو خليج اسكندرونــه في الشمال الى قرب خليج العقبة في الجنوب ، كانت المعاقل والحصون تتتابع على سلسلة مارّة بمنطقة تدمر ، وبادية الشام ، وما وراء الاردنّ . وكل هــذه المراكز كانت تقوم بحراسة آبار المياه ، وبالسهر على الطرق المؤدية الى سورية الشرقية . ولا تزال اطلالها الضخمة ، بعد مرور اربعة عشر قرنــاً ، تثير فينــا عواطف الاعظام والاعجاب . اذ لا نعرف غير الصليبيين شعباً امكنه ان ينافس الروم في المصانع الحربية في سورية . ولكن من كان يقوم بحماية هذه المعاقل ؟

كانت الحروب المستديمة المتابعة بين الفرس والبيزنطيين قد صرفت انتباه بيزنطية عن كل شيء سوى حدود فارس ، ولم تكن لتتصور خطراً من جهة العرب ، فرفعت عن الحدود السورية مَن كان يقوم بحراستها من رجال الخفر القليلين ، واستبدلت بهم فرقاً من البدو يقودها زعماء من عرب سورية جعلت لهم إمارة خاصة مركزها الشام ، وهي امارة الغسّانيين . على ان الاكتساحات الفارسيّة (٦٠٨—٦٢٨) قضت على هذه الامارة ، فساد الاضطراب مدّة ، حتى عقد الصلح بين الدولتين العدوّتين . عند ذاك تقدّمت الفرق البدوية مطالبةً باجورها قبل متابعة الخدمة العسكرية . فاجابها الخصيّ امين الصندوق بهــذا الجواب المؤلم : « ان الامبراطور الالهي لا يجد مالاً عنده لعساكره ، بل يجد مالاً يطرحه للكلاب ! » فكان ذاك الجواب من اقوى العوامل على اثارة الحفائظ ،

وعلى جعل عرب سورية يزدادون كرهاً للبيزنطيين واستعداداً لنصرة اعدائهم الفاتحين ، فيمدونهم باختباراتهم الحربية ومعارفهم الجغرافية والتخطيطية.

وليس من عجب بعد هذا في ان تكون الشراذم العربيـة التي سارت من المدينة قد مرّت دون صعوبة ولا مقاومة امام الابراج المنيعـة ، المتابعة على الحدود ، وهي خالية من الحامية . ولا نستغرب ذلك اذا عرفنا ان السلطات البيزنطية في سورية لم تعر هذا الامر اقلّ انتباه بادئ بدء . لأنهـا كانت قد تعوّدت مثل هذه الغزوات البدوية التي كانت تنعتها « بحوادث الحدود » . على انه لم يمض القليل حتى التحقت شراذم جديدة بالشراذم الاولى . ولم يلبث عدد الغزاة ان بلغ العشرة آلاف . فازداد النهب واتسعت البلاد المكتسحة . فكان الغزو البدوي المنظم بكل ما يجرّه من خراب ودمار . وكانت جيوش الغزاة تهبّ كالسموم وتتساقط على السكان وقد ملكهم الرعب لتلك المفاجأة ولعدم تمكنهم من الدفاع . حتى تفاقم الخطب فدفـع البطريق سرجيوس ، صاحب قيسارية ، الى الخروج من سكينته . فجمع ما وقع تحت يـده من العساكر المأجورة ورجال الدرك . وسار في بضع مئات الى تأديب البدو ، وهو يحتقرهم كسائر البيزنطيين . فكان من نتيجة ذلك انه لم يتخذ المعدّات اللازمة ، بل سار مستخفاً بالامر حتى التقى بالعرب ، وقد جمعوا جيوشهم في منخفض العَرَبة غربي البحر الميت . فسحقوا بعددهم الوافر رجال سرجيوس في تلك الوقعة . وهكذا غدت سورية الجنوبية مفتوحة الابواب لاستقبـال الغزاة (شباط ٦٣٤) .

* * *

وها اننا نرى البدو ضائعين في تلك المدنيّة ، على مئات الكيلومترات من قفارهم ، ولا سلاح لهم الّا سرعة انتقالاتهم وهو افضل ما يتكلون عليـه من طرق الدفاع . لأن القفر ، مهما كان بعيداً ، لا يبعد على ابلهم السريعة . فهم اذاً ينهبون ويجدّون في النهب . ينظرون طوراً الى جهة البيزنطيين راقبين ، وتارةً الى ملاجئهم الحصينة في القفار . ولهذا نقول : ان فتح سورية الحقيقي لم يكن بدأ بعد ، بل ان الايام كانت تعدّه شيئاً فشيئاً . وان الباحث ليعتقد لأول

وجلة ان النصر سيكون للبيزنطيين لما يخال عندهم من الفضل على البدو في المعدّات ، وطرق التنظيم ، ورسم الخطط ، والتقاليد الحربية المأثورة عن الرومان . على انه ينبني ملاحظة واحدة مهمّة تميّز الرومان عن الروم ، وهي ان الاوّلين لم يرفعوا قطّ جيوشهم الخاصّة من سورية . اما الروم او البيزنطيون فانهم ، لما احتاجوا الى الجيوش ، خالوا من الكافي ان يعوّضوا عنها بالمعاقل والحصون تقيم بها المقاتلة المأجورة . فاقاموا حول اكثر المدن السورية اسوارًا حصينة بابواب محكمة القفل . وشيدوا في اهمّها قلاعاً منيعة . فكان لهندستهم الحربية تقدّم لا يُنكر . الّا انه لم يكن لتلك الاسوار ، ولا في تلك القلاع ، من الحامية ما يبعث الى الطمأنينة . فان اكثر العساكر كانت مأجورة ، كما قدّمنا ، ولم تكن السلطة لتهتمّ بتنشئة القوّاد وتدريبهم على الحروب والمعارك . وهذا ، مع قلّة عدد المقاتلة والفوضى الغالبة في التنظيمات العسكرية ، اهم ميزات الجيش البيزنطي في سورية في القرن السابع . ومن اجلى مظاهر هذه الميزات انه قُبيل الفتح الفارسي ، كانت انطاكية ، المدينة الكبيرة ، خالية من الحامية .

وبالاختصار فاننا نرى مشكلًا تاريخيًا مهمًا اذ نتحقّق بلادًا غنيّة كسورية ، آهلة بنحو الخمسة ملايين ، يفتتحها بضعة آلاف من البدو في اقلّ من عشر سنوات ! هذا هو المشكل التاريخي ، فما هو حلّه المعقول ؟

كان الجيش البيزنطي يدعى رسميًا الجيش الروماني ، وكان يدّعي انه خليفة ذاك الجيش . فبينا كانت اليونانية لغة الادارة المدنية ، كانت اللاتينية لا تزال لغة الجيش والمعاملات العسكرية . وهنا ايضاً لا نرى سوى مظهر او شعار لا شيء يذكر وراءه . فان الجيش لم يكن وطنيًا ، ولم يكن فيه شيء من ميزات الكتائب الرومانية المؤلّفة من الوطنيين الاحرار . وجلّ ما يُقال عن البيزنطيين انهم كانوا يريدون ان يأمروا ويحكموا مناطق الدولة المختلفة ، ولكنهم كانوا يترفّعون عن القتال . ولم يبقَ اذ ذاك من وجود للخدمة العسكرية الجبرية . فكانت بيزنطية تأذن بالبدل العسكري بل تعزّز انتشاره . ثم كان الشعور كبيرًا ان الولايات ، وقد ثقلت عليها وطأة الضرائب

والجباة ، كانت قد اصبحت تميل الى الانفكاك عن جسم الدولة . اضف الى ذلك ان بيزنطية كانت تخاف من تأليف الكتائب المحليّة التي كانت رومية قد استخرجت منها الفوائد الجمّة. وكانت ترتعب من خطر ثورة القوّاد عليها. واذاً فلم يبقَ لها شيء من كتائب الكوماجينيين والتشرينيين والحمصيين والحورانيين ؛ وكانت قد فقدت المشاة المنتخبين والرماة الحاذقين من التدمريين والايتوريين الذين كانوا يعاونون في ما سلف جيوش الامبراطورية في ساحات الحرب الاوربية والافريقية . كل هذا التنظيم كان قد اضمحلّ ، ولم يبقَ الّا عدد قليل من العساكر المحليّة المأخوذة من الولايات . ولكنّ اولي الامر لم يكونوا يعتبرونهم اعتبارهم عساكر الجيوش بل كانوا يستخدمونهم ، كلًّا ضمن منطقته ، للقيام باعمال رجال الشرطة من تعقُّب اللصوص وقطاع الطرق ، والسهر على جباية الضرائب . وكان يأمرهم ضبّاط منهم لم يتعوّدوا القيادة ، ولم يمرّنوا على شيء من الاعمال العسكرية . وبالاختصار كانت الدولة لا تكترث لشيء من كل هذا.

من هؤلاء الشرط المحلّيين ، ومن هؤلاء الضبّاط العديمي الخبرة ، كانت تتألف الكتيبة التي قادها سرجيوس ، صاحب قيسارية ، فدحرها العرب ، كما قدّمنا . ولمّا لم يكن من جيوش بيزنطية منظمة على الحدود ، أُجبر رجال الشرطة السوريون على مقاومة الغزوات العربية ، فقاوموها مدة سنتين كاملتين حتى كانت وقعت اليرموك سنة ٦٣٦ . ولا غرابة ان تكون مقاومتهم ضعيفة ، ولم يؤهّبهم شيء لذلك. ونقول القول نفسه عن الضبّاط الذين كانوا يقودونهم ، واكثرهم من رجال الادارة أُخرجوا فجأة من دواوينهم الى ساحات القتال.

كانت بيزنطية لا تتكل الّا على كتائبها الرسمية ، وتفاخر بها مدعية انها الجيش الامبراطوري . اما في الحقيقة فكانت جيشاً مأجوراً بكل ما تجرّه هذه الكلمة من المعنى . كان ذاك الجيش يؤلف مجموعة غريبة من شذّاذ البرابرة او الاعاجم جُمعوا من المناطق البعيدة التي لم تكن لتخضع بسهولة لحكم بيزنطية . وكان اكثر هذه العساكر من الجبليين كالايزوريين والارمن واهل تراقية ، يُضاف اليهم عدد من صقالبة البلقان ، كانوا من أسرى الحروب

التي قاموا بها على البيزنطيين. واننا نرى الجيش البيزنطي ، في وقعة اليرموك ، يتألف خصوصاً من الارمن ومن العرب المسيحيين . وكلا العنصرين تابع للمذهب اليعقوبي. فهو اذاً يكره الامبراطورية التي كانت تضطهد ارباب هذا المذهب. ولم يكن ليجعلهم في خدمة بيزنطية الّا الوعد باجور عالية والرغبة في مغامرات قد تفيد الكثير من السلب . فكانت ابسط المماكسات واقلّ الحوادث اهمية كافية لتثير فيهم الفوضى الاصلية الكامنة ، وتصرفهم عن حماية دولة ما كانوا ليمتّوا اليها بصلةٍ متينة . ولهذا نرى ان انكسار اليرموك كان سببه خيانة العرب السوريين ، وثورة الارمن الذين انتقضوا على قوّادهم وسط المعركة ونادوا بامبراطور من رجالهم.

نضيف الى ما تقدّم انه ، في جميع تلك المعارك ، كانت العساكر البيزنطية قليلة العدد للاسباب التي ذكرناها . فكان للعرب الاكثرية في كلّها ما عدا موقعة اليرموك . ذكرت ذلك في كتابي « تاريخ سورية »[1] ، فردّت عليَّ مجلة عربية دمشقية ردًّا شديد اللهجة حرّمت عليَّ فيه ان أمسّ التقليد العربي التاريخي . على ان هذا التقليد غريب محيّر ولا سيما عندما يتلاعب بالارقام بكل سذاجة. فانه ، في ما خصّ وقعة اليرموك ذاتها ، يجعل تارة اعداء العرب ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل ، وطورًا يبلغ بهم الى ٦٠٠,٠٠٠ . ثم ان التقليد نفسه ، بلسان البلاذري في « فتوح الشام » ، عندما يذكر سقوط قيسارية سنة ٦٤٠ ، يجعل في تلك المدينة ٧٠٠,٠٠٠ مدافع و٣٠,٠٠٠ سامري و٢٠٠,٠٠٠ يهودي. ويقول انه كان فيها ٣٠٠ سوق ، وفي كل ليلة كان يقوم بحمايتها ١٠٠,٠٠٠ جندي ! فليتصوّر القارئ عظمة هذه المدينة ، واتساع مساحتها ! .. ثم نيذكر ان الامبراطور هرقل نفسه لما سار بحملته الشهيرة على الفرس ، لم يمكنه ان يجمع من العساكر الّا عشرة آلاف.

* * *

فُتحت دمشق في شهر ايلول سنة ٦٣٥ . وكان هرقل في شمالي سورية يهتمّ بجمع جيش جديد . فتمكن من تأليفه في اوائل سنة ٦٣٦ . واننا

(١) *La Syrie, précis historique, I, 59*

لنعرف كيف تألف هذا الجيش، وما هي العناصر التربية المتباينة التي جمعت في تشكيله. فكانت النواة مؤلفة فيه من رجال تعوّدوا الحرب قديماً وانتصروا في معارك الفرس الاخيرة، كانوا يقومون بواجبات الحامية في تراقية والاناضول، فأخذوا من مراكزهم، وأضيف اليهم عدة آلاف من السوريين بعد ان عُلّموا مبادئ الحرب بسرعة كلّية. اما اكثرية الجيش فكانت من الارمن، ومن العرب النصارى الذين توفق هرقل اخيراً الى ارضائهم. فيظهر مما تقدم ان اللحمة كانت اصعب من ان تكون وثيقة بين جميع هذه العناصر، وكذلك كان الاختلاف دائماً بين الضبّاط من روم وأرمن. لأن التشامخ البيزنطي كان يرى من الطبيعي ان يضحي الاسيويون، من أرمن وسوريين، بانفسهم في سبيل الامبراطورية، ولكنه لم يكن ليتنازل فيساويهم منزلة ورتبة. ومن المرجح ان الجيش البيزنطي كان يفوق الجيش العربي عدداً اذ ذاك. فانه كان يبلغ على ما يظهر ٣٠,٠٠٠ مقاتل، في حين ان البدو كانوا يعدّون ٢٥ الفاً. وكانت اولى المعارك في جنوبي دمشق، كان فيها الظفر للبيزنطيين. فتراجع العرب الى وراء اليرموك، وهو ساعد شرقي لنهر الاردن؛ فلمّوا شعثهم واستعدوا للقاء الروم. وهناك حصلت الوقعة الشهيرة التي أيدت النصر للعرب بفضل ما ظهر من الخيانة المزدوجة في الجيش البيزنطي. بدأ التضعضع في صفوف العرب النصارى الذين لم يكونوا حصلوا على معاشاتهم بعد فتراجعوا عن الحرب. ولم يلبث الارمن ان قاموا بالثورة التي اشرنا اليها، فشقّوا عصا الطاعة على القوّاد الروم ونادوا بقائدهم واهان امبراطوراً عليهم. فتضعضع الجيش وتفرّق رجاله حتى انه ثاني يوم المعركة (٢٠ آب ٦٣٦) لم يبقَ ذكرٌ في جهات اليرموك للجيش البيزنطي. وكان ذلك من حظّ البدو، فنالوا النصر في تلك المعركة الحاسمة.

ففتحت امامهم دمشق للمرة الثانية. وتبعت اثرها مدن الشمال. فكانت النتيجة اندحار مؤسسة حربية كانت تتباهى خطأ بالاسم الروماني، وهبوط نظام سياسي هبوطاً لم يكن على شيء من العظمة، فلم يترك مجالا للأسف حتى بين مسيحي سورية الذين كان قد مسّ عواطفهم الدينية، وأحفظ أنفتهم

القومية . وفي سنة ٦٤٠ فتحت قيسارية ابوابها بعد حصار شبه دائم استمرّ نحو سبع سنوات ، وذلك بسبب خيانة احد اليهود . ولم تلبث عسقلان ، القائمة على قمة عالية تُطلّ على المتوسط ، ان فُتحت اتفاقاً كما يقول مؤرخو العرب ، وبالحقيقة لفرط الملل والضجر ، فكانت آخر ما وقع في ايدي العرب من المدن السورية .

* * *

لقد اشرنا ، في ما تقدّم ، الى الاسباب الكافية لشرح سير الفتوحات العربية في سورية ، وما كان من ابتدائها في وقت وافقتها فيه جميع الاحوال العنصرية . على اننا لم نذكر ما كان اذ ذاك من اضطراب ادارة الامبراطورية ، وضعفها المالي على اثر الحملات المتتابعة التي قامت بها على الفرس . هذا الى ما كان يتصف به هرقل في آخر حياته من قلة الدهاء وعدم الاقتدار ، وكثرة الغرور بالنفس . ثم ما كان من وفاته ، التي وافقت سقوط قيسارية ، وما جرّته من ازمة وراثية أدّت الى هلاك ثلاثة امبراطرة في ظرف شهور معدودة . فكان من هذه العوامل ، في تعزيز تقدّم الغزاة ونجاح الفاتحين ، ما كان من تضعضع قوّاد الروم وعدم خبرتهم الحربية ، التي اشرنا اليها سابقاً .

وعلى الرغم من كل هذا ، فلا يزال المشكل قائماً لدينا ، في ما خصّ الحالة الاخلاقية النفسية . فهو ، في هذا المجال ، اظهر منه في السياسة والشؤون الحربية . لم نضرب صفحاً عن ذكر الانحطاط في النظام الحربي البيزنطي ، ولكن ذلك لا يمنع ان ذاك النظام كان يفوق دون شكّ نظام البدو . ولا يُخشى هؤلاء الّا في قفارهم بفضل ما تمدّهم به العناصر الطبيعية . ولم يكن لهم من السلاح اذ دخلوا سورية الّا الرماح والسهام . وفي عصر كانت الخيّالة اعظم الجيوش غناء في المعارك ، نرى الخيول كلّها في جانب البيزنطيين . امّا العرب فلم يكن لهم الّا الجمال حتى ان قوّادهم انفسهم كانوا يركبونها ، وكثيراً ما كان يركب المقاتلان او الثلاثة الجمل الواحد . وهو نقص ظاهر في تنظيم جيوش الفتح ، بخلاف ما قال كريمر (Von Kremer) من ان الجمل كان العامل الاكبر في الفتوحات العربية . وهو قول لا ينطبق الّا على الاقاليم

الصحراوية ، فان الجمل قد يكون سهّل على العرب فتح افريقية وصحارى آسية المتوسطة.

واذا درسنا جميع مظاهر هذا المشكل ، نرى ان اشدّ اعداء الامبراطورية الرومية كان ما دعاه المؤرخون « بالتعصّب البيزنطي » . فانه نخر اساسات المجتمع والسياسة ، وادخل الانقسام والفوضى في المقاطعات ، وفي الكنيسة نفسها ، ولا سيما في الجيش . ولم يكن السوريون ليغفروا لهرقل اهماله الدفاع عنهم لدى هجمات الفرس . وكانوا يتألمون منذ ثلاثمائة سنة اذ يرون ادارة المملكة تضحّي بهم دون شفقة في سبيل العاصمة بيزنطية ، وفي سبيل اشباع جيش من الموظفين غرباء عن بلادهم متعطّشين الى اموالهم . وهي الحالة نفسها التي كانت تئنّ منها سورية مؤخراً على عهد الاتراك . وكانوا ايضاً ينعون على دين الحكومة الرسمي ان يبقى آلة للسيادة الزمنية ، فيعمل على اعلاء شأن حكومة كان يئنّ تحت حكمها كثير من العناصر والشعوب المختلفة . ذاك مظهر من تسلّط الشعب اليوناني الذي كان يرغب في ان يسيطر ، في ثلاثة اقسام العالم القديم ، بواسطة الامبراطور والبطريرك ، بواسطة السياسة والكنيسة ، على اجسام تلك الشعوب وعلى نفوسهم ايضاً.

وقد ادّى الغرور بالمسيطر البيزنطي ان خال نفسه قد تحوّل الى شخص مقدّس بل مؤلّه ، فكان يخضع امامه عدد من المترآئين والخصيان .. وقد بلغ ان اخذ يذكر ، في مراسيمه ، « ضياء امارته المقدّسة » بل تجاوز ذلك الى التعبير عن « بهاء الوهيته الشاعّ على الكون » . وهل كان بامكان القيصر ، الغارق في هذا الضباب من الغرور والترآئي ، ان يعير اذناً صاغية لشكاوى الشعب السوري وقد احاقت به التعاسة من جميع الجهات ؟ وبينا كان قوّاد البيزنطيين يتراجعون مندحرين امام البدو ، كان هرقل يغوص في ادقّ المناظرات اللاهوتية ، واعوص المشاكل في الفلسفة النظرية . وكان قد ادّعى بالرغبة في ارجاع الوفاق الديني بين السوريين ، فناصر بدعة جديدة ، هي بدعة المونوتلية او المشيئة الواحدة ، ونادى بها عقيدة للدولة ، رامياً الى التسيطر على الكنيسة وعلى الضمائر . فكان يعيّن للاساقفة مرشّحه للكرسي البطريركي فينتخبونه ،

حتى اذا ملّ منه او جفاه ، حطّه عن عرشه » «والاساقفة في كل ذلك ، على قول مصدر تاريخي ، يخضعون بحق لمشيئة الامبراطور واختياره» . فكانت النتيجة ان اصحاب الرتب الكهنوتية في الكنيسة الشرقية اخذوا يعتادون الاستعباد للسلطة الزمنية شيئاً فشيئاً مما دفع احد بطاركة ذاك العصر الى القول «يجب ان لا يفعل شيء في الكنيسة مخالف لارادة الامبراطور.» على ان التاريخ يعلمنا انه ليس من مصلحة الدولة ان تستعبد الكنيسة . ولم تنجح هذه الطريقة لا في العصور القديمة ، ولا على عهد نابليون ، ولا على عهد النظام القيصري خصوصاً . لانها وسيلة للحطّ من شأن الكنيسة وتقويض نفوذها الاخلاقي . وقد ادّت هذه السياسة في سورية الى نتائج وخيمة ، فقسمت ايمان السكان ، ودفعت بالقسم الكبير منهم الى اعتناق بدعة الطبيعة الواحدة. اما السلطة البيزنطية فبدل ان تعمد الى المخالقة وحسن التأثير بالبرهان الصحيح لتردّ الجماهير عن تلك البدعة ، اخذت باشدّ الاساليب تضييقاً ، وابعدها عن العدل والانصاف كالغاء الحقوق المدنية ، وحجز الاملاك ، والنفي . مما ادّى الى اثارة حفائظ الشعب وتذمّره الدائم . ولم تكن خيانة الجنود الارمنية والعربية في معركة اليرموك التي اشرنا اليها الّا نتيجة هذا الضغط الشديد ، وانّنا نذكّر المطالع ان اولئك الجنود كانوا من البدعة اليعقوبية المغضوب عليها . . .

فاين الغرابة في ان يكون الشعب السوري ، وقد صوّرنا حالته على قدر الامكان ، قد شاهد ، دون أسف ، تلاشي تلك الدولة التي كثيراً ما اضطهدته ! واين العجب في ان يكون قد رأى في ذلك عقاباً سماوياً لظالميه !



الزواج

تبعاً للرسالة البابوية «Casti connubii»

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

منشأ الزواج من الله وضعاً وطبعاً

٤

٨ ملاحظتان في مدعيات التطوريين

بقي لنا ملاحظتان في شأن مبدأ التطوريين والوقائع التي يستشهدون بها لمذهبهم فنقول :

١ — أما أساس مذهبهم فهو، فضلاً عن انكارهم لوضعية الزواج الالهية وغائيته الطبيعية، الافتراض التالي : يزعمون ان المتوحشين من الناس وهم احطهم تمدناً، انما يمثلون لنا، باخلاقهم واصطلاحاتهم، الانسان الاقدم الاول. وهو سليل الحيوان اي القرد او احد اسلافه. وعليه فان تاريخ البشرية لمنحصر في وصف تطوراتها والمراحل التي اجتازتها منذ الآدمي الاول الى عصر التمدن الحاضر. على ان الأخلاق والاصطلاحات تسير لدى الشعوب سير الصناعة. هكذا كانت في القدم حال متوحشي اوربة، وهكذا ايضاً هي حال متوحشي يومنا هذا في افريقية واوقيانية. ومن ثم فان شئنا ان نستدل على ما كانت عليه علاقات المرء بالمرأة يوم كان البشر يستعملون الحجارة المنحوتة المصقولة آنية وسلاحاً، فما علينا الّا ان ننظر الى العلاقات عينها، على ما هي جارية في ايامنا لدى الشعوب الهمجية.

تلك هي نظرية التطوريين الاساسية، على ما شرحها احد زعمائهم، وهو

جون لُبُكْ ، في مؤلَّفه The Origin of Civilisation[1].

فاقول : انّ الافتراض المذكور ، مع ما قد ينمّ عنه من حدّة الذهن وتوقده لدى مختلقه ، لا يبرح افتراضاً محضاً ، ليس فقط لا تدعمه الوقائع بل تنقضه صريحاً. فانك لتجد في قلب افريقية قبائل هي ، من الوجهة الصناعية ، احطّ جداً من الاوربيين ، وبالرغم من ذلك تراها ، من حيث اصطلاحاتها وعوائدها وآدابها العائلية ، اسمى منزعاً وادقّ قاعدة من بعض الشعوب العصرية العريقة في الحضارة. أضف الى ذلك انّ دروين نفسه ، مع انحيازه الى مزاعم لُبُكْ ، قد ابدى من التحفظ ما ينفيها ، إلّم يكن جميعاً فبالاقلّ بعضاً. يقول دروين ان الانسانَ سليلٌ لجدّ تربطه القرابة بالقرد. الّا انه درس طباع القرود فوجد منها فئاتٍ كثيرة ليس للذكر منها الّا انثى واحدة ، وفئاتٍ غيرها بالخلاف ، ممّا ينتج عنه في رأيه انّ مذهب القائلين بوجود القِران الخليط في الحالة الطبيعية (اي في ايام الانسان الاولّي) بعيدٌ للغاية عن الرجوح[2].

ب — وقد نقّب العلماء كثيراً في اماكن مختلفة عديدة عن احوال معاصرينا من المتوحّشين وعوائدهم وطبائعهم ، وبحثوا عنها بحثاً نزيهاً مدققاً. وممّا حصّلوه ، وهو كثيرٌ ، يُستفاد صريحاً ان القران الخليط لدى الشعوب المذكورة ، إن كان واقعاً فعلاً ، فانما هو لديها امر شاذّ ، لا قاعدة مطّردة ، بل هو انحطاطٌ وفساد وخروج عن القياس الاقدم الاولّي ليس الّا.

هذا ما لم تبقِ مجالاً للريب فيه الشواهد العديدة من كلّ نوع ، التي نشرها العلّامة وستمارك بكتابه «في اصل الزيجة في النوع البشري»[3] وسيادة المطران لروا بكتابه «في ديانة الاوّلين.» فان هذا الحبر العلّامة قد اقامَ خمسة وعشرين عاماً في افريقية ، بينَ جماعات البانتو (Les Bantoucs) وهي لا شكّ من اول الاوليّن ، وقد تفقّد ، بنفسه وبواسطة مرؤوسيه من المرسلين ، البلاد طولاً وعرضاً ، من الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الاوقيانوس

١) راجع Fonsegrive, *Mariage et Union libre*, p. 8.

٢) راجع المؤلف ذاته ، ص ٢٠

٣) Westmarck, *Origine du Mariage dans l'espèce humaine*. – Paris. 1895.

الباسيفيكي . وكانت نتيجة دروسه الطويلة وتحقيقاته الدقيقة كتابه المذكور . وممّا جاء فيه « انّ الحالة البهيمية المذكورة (اي الحالة الناشئة عن الصلات الجنسية المختلطة المتنقّلة) قد لا يستحيل وجودها سابقاً لدى بعض فلول من البشر ، ممن خصّهم الشقاء بهذا الضرب من التعاسة . وعلى كل حالٍ فمنا تقتضيه الحكمة ألّا يُنزَل قولٌ افتراضيٌ محضٌ كهذا منزلة الحقيقة الراهنة ، ما لم يُتَم عليه من الوقائع الثابتة المعيّنة ادلة واضحة دامغة . والاكيد هو اننا لا نرى اليوم بتاتاً في اي ناحية من افريقية اثراً للاختلاط المذكور ، اللهمّ اذا ما استثنينا البؤر الواسعة الممتدّة في المنطقتين الشرقية والشمالية . . . حيث نرى ذلك بين قطعان الوعول . واما الآدميّون فبقدر ما يتخطّى الباحث منحدراً بالتأمل نحو الذين وُسموا منهم بعموم دلائل الانسان الاولي ، وكذا هي حالة الزُنيجيّين (les Négrilles) والصان (les Sâns) ، بقدر ذلك يتضح له بنوع اجلى ان المبدأ العائلي لديهم هو القاعدة الاساسية الواجبة بدون ما مراجعة للمجتمع الانساني من اول نشأته[1] .

٩ً نتائج عملية خطيرة

وعلى ما بسطنا الى الآن من الحقائق الراهنة تترتّب نتائج عملية ادبية شتى ، نقتصر على اثنتين منها ، لما لهما من الخطورة .

١ — فالاولى مبنية على كون الزواج ، كما سبق لنا بيانه ، عقداً يُبرمه الرجل والمرأة ، ليس عن رغم ولكن عن تحرٍّ واختيار . وهو في الوقت نفسه من وضع الله وحياً وطبعاً ، واصولاً وسنناً . ومن ثمّ ما ورد في الرسالة الحبرية :

« فبالزواج اذاً تتحد الارواح وتأتلف قبل اتحاد الاجساد عينها . وترتبط ارتباطاً اوثق لا بتأثر العواطف او ميل القلوب بل بقرار الارادة الاختياري الثابت . وعن اتحاد الارواح هذا ينتج ، بناءً على ما قرّره الله ، وثاق مقدّس لا يمكن منه .

(١ Mgr. A. Le Roy, *La Religion des Primitifs*, Pari , Beauchesne, 1909, p. 95 — راجع ايضاً Castillon في مقاله المذكور آنفاً ع ٩١ — ٩٤

« فطبيعة هذا العقد الخاصة به دون سواه تجعله يبعد بعد السماء عن الارض عن اجتماع البهائم الذي تدفعها اليه غريزتها العمياء ، حيث لا عقل ولا ارادة حرّة ، وايضاً عن تلك الزيجات المتقلقلة العارية عن كل رباط حقيقي وصالح ، والخالية من كل حقّ بالعيشة العيليّة.

« فمما تقدّم يتحصّل بنوع اكيد ان للسلطة الشرعية حقاً بان تحظر الزيجات غير اللائقة ، التي تخالف سنّة العقل والطبيعة وتحرمها وتعاقب من يُقدم عليها ، بل توجب عليها وظيفتها ان تفعل ذلك[1]. »

تلك هي النتيجة الاولى وقد لخّصها الله بالسادسة والتاسعة من وصاياه العشر . قال عزّ وجلّ : « لا تزنِ . ولا تشتهِ امرأة قريبك. »

ب – ثمّ ان ما ذكرناه من كلام الرب في سفر التكوين ، حيث بارك ابوينا الاولين وامرهما ان « انموا واكثروا » ، وما بسطناه من الادلة على حقيقة تأصّل الزواج في الطبيعة ، ينجم عنه جلياً ان ايلاد البنين هو اهمّ غايات الزيجة بل اولها منزلة . وعلى هذه الحقيقة يترتب ما جاء ايضاً في الرسالة الحبرية ، واليك نصّه :

« ما من سبب البتة ، مهما كان خطيراً ، يستطيع ان يُصيّر ما هو في ذاته ضدّ الطبيعة مطابقاً لها وصالحاً . ولما كان فعل الزواج من طبعه معدّاً لولادة البنين ، فالذين يتعمّدون في مزاولتهم اياه تجريده من هذه القوّة الطبيعية والفاعلية ، يفعلون ما يضادّ الطبيعة ويأتون عملاً قبيحاً ومن ذاته سيّئاً .

« فلا عجب ، والحالة هذه ، اذا كانت الاسفار المقدّسة تشهد ان العزّة الالهية تُبغض اشدّ البغض هذا الاثم الفظيع وانها عاقبته بالموت ، على ما يذكر القديس اغوسطينوس اذ يقول : « حرام وقباحة ان يباشر المرء امرأة ، حتى لو كانت زوجة شرعية ، حيث يُمنع الحبل بالاولاد . ذلك ما كان يفعله اونان ابن يهوذا ومن اجله اهلكه الربّ . »[2]

١) الرسالة *Casti connubii* : ص ٤

٢) القديس اغوسطينوس في زواج الزناة ، كتاب ٢ عدد ١٢ – قابل ذلك مع الفصل ٣٨ من سفر التكوين عدد ٨ – ١٠ وديوان التوبة المقدّس ٣ نيسان و ٣ حزيران ١٩١٦ .

« ولما كان بعض الناس قد مالوا صريحاً عن التعليم المسيحي الذي لم يبرح من البدء الى الآن مؤيَّداً بالتقليد ، بدون انقطاع البتة ، فقرّ رأيهم ، في الآونة الاخيرة ، بشأن كيفية التصرّف هذه ، على وجوب المناداة جهراً بتعليم غير هذا ، فالكنيسة الكاثوليكية ، التي اليها وكل الله تعالى نفسه ان تعلّم الآداب السليمة الصالحة وتدافع عنها ، بينما هي قائمة بين انقاض خراب الآداب هذا ، رغبةً منها في صيانة عفّة العقد الزواجي من ذلك الوصم المعيب ، ودلالة على المهمّة التي أنابها الله للقيام بها ، ترفع صوتها عالياً بفمنا ، وتعلن مجدَّداً ان كل استعمال لفعل الزواج يُجرَّد من قوّته الطبيعية لايجاد الحياة ، هو مخالفة لشريعة الله وسنّة الطبيعة ، وأن الذين يقترفون مثل هذا ، يتلطّخون بوصمة الاثم الثقيل. »[1]

واما قول الحبر الروماني المذكور : « لما كان بعض الناس قد مالوا صريحاً عن التعليم المسيحي . . . » فهو تلميح ظاهر الى ما نادى به من التعليم الاساقفة الانكليكانيون في الاجتماع الذي عقدوه في لَمبثْ في شهر آب سنة ١٩٣٠ . وقد وافقت اكثريتهم ، اي ١٩٣ اسقفاً ضدّ ٦٧ صوّتوا بالخلاف و ٤٠ امتنعوا عن التصويت ، على حكم هو نقيض ما كان الى الآن ارباب كلّ المذاهب المسيحية قد اجمعوا عليه او كادوا ، في الموضوع الذي نحن في صدده . وقد كان لهذا الحكم صدى أسفٍ ليس خارجاً عن انكلترة فحسب ، بل في داخلها حتى لدى بعض الجماعات الانكليكانية نفسها[2].

ولا عجب فان الوعد « ابواب الجحيم (اي الضلال) لن تقوى عليها » انما قد خصّ به المسيح الكنيسة المرتكزة على الصخرة البطرسية.

ولم يجد الحبر الاعظم بدّاً من ان يُوجّه الى الكهنة الانذار الآتي : « وعليه فاننا بما لنا من السلطة العظمى والعناية بخلاص الانفس كلّها ، نُنذر الكهنة الذين يُعنون باستماع الاعترافات ، وسواهم ممّن يهتمّون بخدمة الانفس ان لا يدعوا المؤمنين المسلّمين اليهم يضلّون في شأن شريعة الله هذه الخطيرة

١) الرسالة الحبرية المذكورة ص ٢١.

٢) راجع مقال الاب بيردو اليسوعي في مجلة *Etudes*, 1930, tome 205, pp.521-529 والمشرق ٢٩ (١٩٣١) ١٤٠.

للنهاية ، وبنوع اشدّ جداً ، ان يصونوا ذواتهم من تلك المزاعم الكاذبة وان لا يوافقوا عليها بايّ وجه كان.

« وان حدث، لا سمح الله ، ان احد الكهنة المعرّفين او رعاة الانفس ، اسقط هو نفسه المؤمنين المسلّمين اليه في هذه الاضاليل ، او في الاقلّ تبتهم فيها إمّا بموافقته عليها وإمّا بسكوته عنها خداعاً ، فليعلمنّ انه سيقدّم للاله الديّان الاعظم ، عن خيانته للوظيفة ، حساباً صارماً ، وليعتبرنّ موجّهاً اليه قول المسيح هذا[1] : « انهم عميان وقادة عميان . واذا كان اعمى يقود اعمى فكلاهما يسقطان في حفرة. »[2]

ولم يكن الاب الاقدس ليجهل ما يعاني بعض ارباب العائلات من العسر في المعيشة والمصاعب التي تعترضهم في القيام بسدّ حاجات ذويهم ، ولا سيا في ايامنا هذه . على ان الواسطة ، اذا ما كانت رديئة من طبعها ، لا تبرّرها الغاية ، مهما كانت صالحة شريفة . ولا سيا ان لمعالجة الحالة المذكورة ، غيرَ الواسطة التي يقبّحها سيّدنا البابا ومثله كلّ ذي عقل سليم مصيب ، ادوية عديدة صالحة ناجعة قد ورد وصفها في الرسالة الحبرية ، فنحيل اليها القارئ اللبيب[3].

وممّا لا يسعنا ، في ختام هذه العجالة ، الّا ان نلفت النظر اليه ، علاج لآفات الزواج جزيل الفائدة ، إلّم يأتِ ذكره صريحاً في الرقيم البابوي ، فيكاد يكون مقدّراً تحت كل اسطره ، الا وهو الاعتقاد الثابت ، المبنيّ على الايمان والاختبار والعقل ، ان الدنيا هذه انما هي وادي الدموع ، وان المسيح قد وجّه الكلام الى الجميع بدون استثناء اذ قال في الانجيل : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني[4]. » فعلامَ تخرج حالة المتزوّجين عن الحكم هذا ؟ (تمّ المقال الاوّل)

١) متى ١٥ : ١٤
٢) الرسالة البابوية ذاتها ، ص ٢٣ – راجع مجمع التفتيش: ٢٢ ت٢ سنة ١٩٢٢
٣) راجع الرسالة *Casti connubii* ص ٣٨ – ٤٨ ، ولا سيا ص ٤٨ – ٥٢
٤) متى ١٦ : ٢٤

كهرباء القاديشا

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت

ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

القاديشا

ينبوع يتدفق من سفوح الارز في لبنان ، فيترقرق عذباً في الوادي المقدس باعثاً في طريقه الخضرة والحياة ... تنضم اليه ، في سيره نحو البحر ، ينابيع شتى تزيد في غزارته وتغيّر عليه اسمه : فهو تارة نهر القاديشا ، وطوراً نهر ابي علي ، واخيراً نهر طرابلس حيث يصبّ في البحر .

اخذت اسمه تيمّناً شركة آل على نفسها ان تستدرّ ما فيه من القوى الكهربائية فدعيت شركة كهرباء القاديشا او شركة « القاديشا » . وقد استهزأ البعض ، بادئ بدء ، بما ترمي اليه تلك الشركة ، ظانين لها الفشل ، فخاب ظنهم اذ قامت باعمالها فجاءت بمركزي بشراي وابي علي وهما يمثلان اليوم اعظم قوة على الماء في سورية ولبنان .

تابعت تلك الشركة اعمالها بالرغم عمّا لقيته في البلاد من برود الهمة ، وقلة الثقة ، ووجود بعض المراجع الادارية ، فظفرت . بل كيف لا تظفر واركانها زعماء الشمال جاهاً وغنى من سيادة المطران انطون عريضه اسقف طرابلس سابقاً ، وبطريرك الموارنة اليوم ، الى مشايخ آل اسطفان وكيروز ، الى حضرة الخوري انطونيوس جعجع صاحب الهمة .

وقد ساعدني الحظ ان زرت مؤخراً ، مع بعض زملائي من اساتذة مدرسة الهندسة ، مركز ابي علي فسررت لما لقيته فيه من الاعمال الخطيرة ، اذ يضاهي المراكز الاوربية صنعاً واتقاناً .

١ نبذة تاريخية

يرجع تاريخ « القاديشا » الى سنة ١٩٠٩ حيث قام بعض اكابر القوم في بشراي بفكرة استدرار القوى الكهربائية من ينابيع الشمال . تمت تلك الفكرة بين الدرس والمفاوضات . ثم ارسلت اوراق المشروع سنة ١٩١٣ الى استنبول للمصادقة واعطاء الامتياز .. وكانت الحرب الكونية ، فطمرت تلك الآمال ، ولكنها لم تمتها فبقيت حية ، كالزرع تحت الثلوج.

عاد السلم فلم يجد في الوطن الّا رماداً ، وكانت سنو جدّ وعملٍ في ترميم ما اتلفته الحرب من بيوت اصبحت اطلالاً وبساتين يبست اغراسها او قلت عوزاً ، ومروج لم يبقَ من المواشي ما يرعاها فنبت بها الشوك..

رجعت بالجد الحياة . فعرفت البلاد السعادة بعد الشقاء ، وجاز لها ان تنظر الى ما فوق الضروريات . رجعت فكرة انارة بشراي بالكهرباء ، فبحث اصحابها سنة ١٩٢٢ بشروع الينبوع المعروف « بنبع مار سركيس » وتكاليفه تقارب العشرة آلاف ليرة سورية . غير ان الدروس الفنيــة بيّنت افضلية استخدام نهر القاديشا نظراً لما يتركه ذلك المشروع من المدى في توسيع نطاق الشركة ، وكانت الانظار وقتئذٍ تترامى الى ما هو ابعد من وادي بشراي ، الى طرابلس ، الى البحر.

واعطي الامتياز بانارة بشراي وضواحيها فتألفت شركة مساهمة رأسمالها خمسون الف ليرة سورية دعيت بشركة « القاديشا ».

وبسطت للامتياز ، على الاثر ، مسألة انارة طرابلس بالكهرباء. فتقدمت اليها شركة القاديشا نظراً لاهمية ذلك الوسط تجارياً وزراعياً . وكانت الشركة لم تحلم بعد بما اتى بعد الند من ميناء للطيران ومركز خطير لزيت الموصل.

ولا نأتي على ذكر ما لاقته « القاديشا » من الصعوبات في نيل ذلك الامتياز اذ ارغمت من اجله على انارة بعض الضواحي من لبنان الشمالي وعلى

وضع ضمانة مالية قدرها ستون الف ليرة سورية . فقبلت تلك الشروط بالرغم عن قساوتها ، وبعثت الى فرنسة بلجنة فوضتها بشراء الآلات والمعدّات ، وباشرت اعمالها بجدّ لم يعرف الملل ولا القنوط في ايام تدهور فيها الفرنك ، فلم تجد في احدى المصارف الرسمية عضداً ولا معيناً .

٢ً المراكز الكهربائية

مركز بشراي

بدأت الشركة اعمالها فجاءت بمركز كهربائي قوته ٢٤٠٠ حصان يعرف بمركز بشراي . تدير ذلك المركز مياه القاديشا تجمع في المغارة عند ينبوعها فتسير في قناة منطأة ، قليلة الانحدار ، تارة في لحف الجبل ، وتارة في نفق تحت الارض ، الى ان تصل فوق وادي بشراي فتجتمع في حاووز سعته ٥٠٠ متر مكعب ، وتصب منه في الانابيب الفولاذية النازلة الى الدوّامات فتديرها . ويرى الزائرون للارز قسماً من تلك القناة والحاووز ، والانابيب تمرّ تحت الطريق الجديدة (انظر الرسم ٣) ومن هنالك منظر مهيب على الوادي والمركز الكهربائي . اما القناة فطولها ٩٥٠ متراً ، وقطعها كافٍ لجرّ ٨٠٠ ليتر من الماء في الثانية ، اي ما يقارب السبعين الف متر مكعب في الاربعة والعشرين ساعة . والانابيب مثبتة في الصخور طولها ٦٠٠ متر وغلاظتها عشر مليمترات تقريباً مع قطر داخلي يتراوح بين الستين والسبعين سنتيمتراً . تقسم هذه الانابيب ، لدى وصولها المركز ، الى فرعين يؤدّي كل منه الى دوّامة قوتها ٤٠٠٠ حصان . والدوّامتان من النوع المعروف « بدولاب بلتون » تشتغل الواحدة منها لعلو عمودي قدره ٢٨٠ متراً ، وكمية من الماء في الثانية تعادل الاربعمائة ليتر . امّا الماء الخارج من الدوّامتين فيصب في قناة تعيده الى مجراه الاول بلا زيادة ولا نقصان . فتحويله عن المجرى من النبع الى المركز ما هو الّا لاستخدام علوّ الشلال .

تدير كل دوّامة مولّدة كهربائية قوتها ١٠٠٠ كيلو ڤولت امپار لمجرى متناوب توتّره ٥٥٠٠ ڤولت . ويرى في الرسم ٥ مجموع الدوّامة والمولّدة.

يسير المجرى الخارج من المولّدات بحبال كهربائية تحت الارض الى مركز التحويل ، فيُخفض توتّر قسم منه الى ٢٢٠ ڤولت لاستخدامه في المركز نفسه وفي بلدة بشراي ، ويُرفع توتّر الباقي الى ٣٥٠٠٠ ڤولت قصد نقله الى طرابلس وشكا وبعض قرى لبنان الشمالي.

وفي المركز لوحات رخامية ترى في الرسم ٥ جمعت عليها الآلات الكهربائية لوزن المجرى وآلات اوتوماتيكية لتعديل التوتّر وسرعة البرم ، وهما تابعان للقوة المطلوبة . وتعدّل سرعة البرم بتعديل كمية الماء الداخلة على الدوامة . وهنالك آلات اخرى حافظة للماكينات والمحوّلات من خطر المجرى اذا زادت قوته ، وخطر الصواعق فيما لو وقعت على الاسلاك الخارجة وتمشّت عليها حتى المركز.

ويلاصق مركز بشراي بيت تراه في الرسم ٦ بنته الشركة لسكنى رئيس المركز وعائلته.

ومن الاعمال التي اضطرت اليها الشركة طريق قوية المبنى طولها نصف كيلومتر ، وجسر على النهر ، يؤدّيان الى المركز . وكان عمل هذه الطريق سابقاً لبناء المركز تسهيلاً لنقل الادوات.

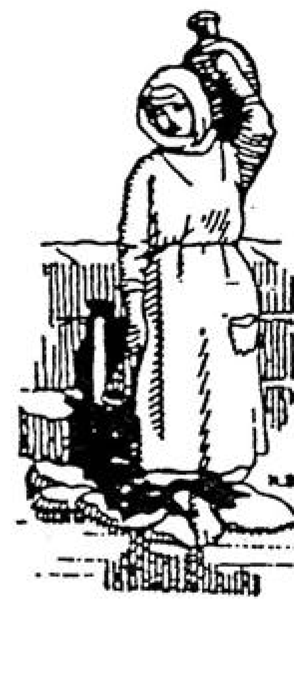
. . .

يمتاز نهر القاديشا انه مغذّى لا بالامطار بل بما يخور من الثلوج المتساقطة على الجبال . وهذا شأن كل الينابيع الكثيرة الارتفاع كما في سويسرا واوربة الوسطى. فشحائح المياه اذاً ليست في الصيف بل في الشتاء ، وخاصة في اشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط .وحدث ان كمية المياه ، في هذا الفصل ، لم تكف لاعطاء القوة المطلوبة ولا سيما في ساعات تسمى بساعات «الازدحام» يكثر فيها طلب القوة دفعة واحدة ، كما يحدث بين الساعة الخامسة والثامنة مساء . وزاد الطين بلّة معمل السيمنتو اللبناني في شكا وهو يستغرق ، في

بعض الاحيان ، ما يزيد على الخمسمائة حصان ، ولا عجب في ذلك فمن محركات ذلك المعمل ، ما يدور بلا انقطاع ليل نهار[1] . فتلافياً لذلك وبانتظار المركز الثاني، مركز نهر ابي علي ، همّت شركة القاديشا بعمل خزانات للمياه تخزن الماء في الساعات « الجوفاء » حيث يقل طلب القوة الكهربائية وتفرغه في ساعات « الازدحام » فارتأت ، بعد الدرس ، ان تحوّل مغارة نبع القاديشا الى خزان عظيم فبدأت بعملها صيف سنة ١٩٣٠ ولم تنتهِ منه الّا في ايلول من الصيف الماضي . وجاءت بخزانين سعة الواحد منهما الف متر مكعب وهو مقابل لقوة ستمائة حصان مدة ساعة وثلث تقريباً . وراعت الشركة ، في اعمالها هذه ، الوجهة الطبيعية ، فتركت في المغارة العجيب من المستحجرات وانارتها بالكهرباء خدمةً لمصلحة الآثار والاصطياف . واننا ننشر تحت العدد ٤ رسماً لداخل تلك المغارة ترى فيه المستحجرات على شكل شموع بيضاء ...

(في العدد القادم مركز نهر ابي علي)

١) راجع مقالنا في هذا المعمل في المشرق (٢٩ [١٩٣١] ٤٤١ ...)



المصريون في لبنان وسورية

قبل مائة سنة

معلومات وملاحظات

بقلم ابراهيم بك ابو سمرا غانم

١

يوافق هذه السنة التذكار المئوي لدخول المصريين بلادنا بقيادة ابراهيم باشا الفاتح الشهير . وقد نجم عن ذاك الفتح نتائج اجتماعية وادبية وسياسية من حسنة وسيئة ، منها ما اضمحل بجلاء الجيوش المصرية ، ومنها ما لا يزال اثره باقياً حتى اليوم . فرأينا ، بهذه الموافقة ، ان نورد بعض معلومات وملاحظات عن ذاك الفتح نخالها تفيد القراء الكرام وتلذ لهم :

الاستيلاء على لبنان وسورية

بعد ان ظفرت الجيوش المصرية التي كان يقودها ابراهيم باشا واخوه طوسون ، ابنا محمد علي ، بالوهابيين الذين كانوا يُغيرون على البلاد الحجازية ويتعدّون على قوافل الحجاج ، فكّر محمد علي بانشاء جيش منظّم على الطريقة الاوربية . فعهد بالامر الى الكولونيل سيف الفرنساوي الاصل ، الذي صار فيما بعد سليمان باشا ، فنجح هذا في مهمّته . وقد انشأ ايضاً في الاسكندرية بحريّة ، وفتح في القاهرة معملاً لصنع الاسلحة والمدافع وسائر المعدّات الحربية . وقد قام بجميع هذه الاعمال رجال اختصاصيون من الفرنسويين . انما جميع هذه المشاريع اعوزتها الاموال الوافرة واكرهت محمد علي على وضع الضرائب على المصريين الذين ما لبثوا ان شكوا من فداحتها . وكان الفلاحون يساقون

قسراً إما الى الجندية وإما الى المصانع ، فاقفرت منهم الديار والمزارع ، وفرّ نحو عشرة آلاف شاب الى خارج القطر ويمم معظمهم سورية ، وخصوصاً ايالة عكا التي كان يحكمها عبدالله باشا .

ولما اعان محمد علي الدولة العثمانية في حرب المورا ، اخذ وعداً من الباب العالي باستلام ولاية سورية مكافأةً له . ولكن السلطان اخلف بوعده . ففكر العزيز في ايجاد سبب للاستيلاء على سورية ، فكتب الى عبدالله باشا يسأله ان يُعيد اليه المصريّين المهاجرين . فأبى هذا مدّعياً ان المصريين هم ايضاً من رعايا الدولة العثمانية وان لهم الحرية في الاقامة حيثما يشاؤون في البلاد التي تظلّلها اعلامها .

وكان الباب العالي ، قبل بضع سنين ، قد اصدر امراً بفصل عبدالله باشا من ايالة صيدا ، فشفع به محمد علي اجابةً لرجاء الامير بشير ، حاكم لبنان ، فاعيد الى ولايته . وقيل ايضاً انه كان قد اسعفه بمالٍ جزيل أرضى به رجال الدولة ، ومعلوم انه لم يكن يتمّ امرٌ في تلك الايام في تركية بدون ان يمثل المال دوره ، فطالبه به ، فابى دفعه . فرأى حينئذٍ ان الفرصة قدسنحت له لتنفيذ ما كانت تصبو اليه نفسه ، ولا سيما ان الدولة كانت في تلك الايام منهوكة القوى خائرة العزيمة بعد المصائب التي حلّت بها إثر ثورة علي باشا ، حاكم يانيا ، وغب ثورة اليونان التي عضدتها فيها فرنسة وانكلترة فنالت استقلالها التام ، بعد ان حكم الاتراك فيها منذ فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ . وفضلاً عن ذلك فان السلطان محموداً كان قد بطش بالانكشارية ففقد الجيش العثماني بهلاكهم ما كان باقياً له من القوة والصولة . . .

في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٨٣١ ، زحفت الجيوش المصرية برّاً على الاراضي الفلسطينية ، وخرجت في الوقت نفسه العمارة المصرية من الاسكندرية ووجهتها الشواطئ الفينيقية ، فرابطت امام عكا . وتراجع عبدالله باشا امام المصريين الذين كان يقودهم ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوي . واستنجد بالسلطان فورده الجواب يستحثه على الثبات ، ويعده بالنجدات . ولكنه لم يفعل بينما كان محمد علي يداوم على ارسال الرجال والاعتدة الحربية الى ولده .

وقد دام الحصار نحو سبعة اشهر أظهر فيها المدافعون عن عكا بسالة فائقة . ولكنهم غلبوا اخيرًا على امرهم ، فاستولى ابراهيم باشا على المدينة ، ودخلها ظافرًا في السابع والعشرين من شهر ايار سنة ١٨٣٢ بعد ان خسر من جنوده اربعة آلاف مقاتل . وكان المدافعون عن عكا جنودًا من الارناووط والاتراك ، ولو انجدتهم الدولة العثمانية بالقوات لعجز المصريون عن فتحها . ولو كان رجال هذه الدولة ذوي يقظة وتحوّط للطوارئ التي كانت تتهدد سلامة المملكة ، ولو كان السلطان محمود تنبه لخطورة موقع عكا في ذلك الحين ، ولو كان رجال السياسة لهم المام بتاريخ الدول ، لادركوا ان عكا كانت في كل وقت تُعدّ مفتاح سورية ، وانه في الاجيال المتوسطة كان اعظم الفاتحين في الشرق والغرب ، كفيليب اوغست ، وريشار قلب الاسد ، وصلاح الدين الايوبي ، والملك العادل وغيرهم يتنازعون السيطرة على مَعقل عكا ، ولكانوا عرفوا ان نابليون العظيم لما شاء توسيع فتوحاته في سورية فكر اولًا بالاستيلاء على هذه المدينة.

وبينما كان ابراهيم باشا يحاصر عكا ، بعث الى الامير بشير شهاب ، والي لبنان وسيده الاكبر ، يبشره بقدومه ويطلب منهُ ان يوافيه الى حيث هو . فلبّى الامير الطلب وجمع رجال لبنان وجاء بهم معسكر المصريين ، فاستُقبل بمزيد الفرح والابتهاج . ولا يخفى ان نجدة الامير ورجاله اللبنانيين لابراهيم باشا قد جاءت معزّزة لجانبه ومسهلةً لفتوحاته وتوغله في داخلية بلاد الاناضول.

وقبل ان يتمّ الاستيلاء على عكا ، زحف الجيش المصري واحلافه اللبنانيون على المدن الساحلية ، فاحتلّوا صور وصيدا في الرابع عشر من كانون الاول سنة ١٨٣١ ، وفي العشرين منه دخلوا طرابلس . واما دمشق فاستولوا عليها في السادس من شهر حزيران سنة ١٨٣٢ بدون مقاومة.

ولما بلغت الحملة المصرية مدينة حمص ، اشتبكت بالقتال مع العساكر العثمانية التي كانت بقيادة محمد باشا ، والي حلب . وكان عدد العثمانيين خمسة وعشرين الفًا وعدد المصريين عشرين الفًا . فانتصر المصريون ودخلوا المدينة في الثامن من شهر تموز سنة ١٨٣٢.

ثم تقدم الفاتحون الى بيلان فادركوها في التاسع والعشرين منه ، وكانت قد اجتمعت فيها فلول العساكر العثمانية ، فدارت بين الفريقين رحى الحرب . وكان يقود العثمانيين السردار ومشير الاناضول حسين باشا . فكلل النصر هام المصريين . وفي الواحد والعشرين من كانون الاول ، جرت المعركة الكبرى بين الجيشين المتحاربين في قونيه . وكان رشيد باشا ، المعدود من اكبر رجال الحرب في تركية ، يقود الجيش العثماني البالغ عدده نيف وستين الف مقاتل . وكان ابراهيم باشا يقود الجيش المصري ، ولم يتجاوز عدده الثلاثين الفاً . فتأججت نيران الحرب وحمي وطيس القتال وتصادم الفريقان متلاحمين ، فخرج المصريون منصورين ظافرين ، وولى العثمانيون من امامهم مدبرين لا يلوون على شيء . وقد اسر العرب الموالون لابراهيم باشا رشيد باشا وجاؤوا به اليه . وبلغ عدد قتلى العثمانيين ثلاثة آلاف رجل ، وأسر عشرة آلاف . وقد جاء هذا النصر اعظم الانتصارات التي حازها ابراهيم باشا منذ زحف على سورية .

ولما بلغت اخبار هذه المعركة دول اوربة ، اهتمت لها كل الاهتمام . وامتعضت روسية وانكلترة من فشل الدولة العلية وخشيتا من تقدم المصريين الى الاستانة ، وتحفزتا للحؤول دون ذلك . فرأت فرنسة التي كانت ترمق الفتوحات المصرية بعين الرضى والارتياح أن تضع حداً لمطامع محمد علي خوفاً من حرب اوربية طاحنة ، فتداخلت في الصلح بين التابع الغالب والمتبوع المغلوب ، وعرضت على محمد علي ولاية سورية ، فلم يرضَ وطمع ايضاً بالولاية على الاناضول . وبعد مخابرات طويلة تمّ الرضى على ان توافق الدولة العثمانية على ولاية محمد علي على مصر وكريت ، مع اضافة البلاد السورية وولاية ادنه الى حوزته ، وعلى تجديد ولاية ابراهيم باشا على جدة ، وعلى منحه لقب شيخ الحرم الملكي الشريف . وقد عقد الصلح في مدينة كوتاهية في اليوم الرابع من ايار سنة ١٨٣٣ بين السلطان محمود ومحمد علي . وناب البارون روسين ، سفير فرنسة في الاستانة ، بالتوقيع عن السلطان ، وناب ابراهيم باشا

بالتوقيع عن ابيه . وتضمن هذا العقد ايضاً تعهد محمد علي بان يدفع لخزينة الدولة الاموال التي كان يدفعها الولاة السابقون.

اجراآت ابراهيم باشا في سورية

عندئذٍ انسحب ابراهيم باشا بجيوشه من بلاد الاتراك الى سورية ، واخذ يهتمّ بالشؤون الادارية . فغيّر تقسيم المقاطعات والولايات ، واوجد لها ترتيباً ادارياً جديداً . فجعل نفسه حاكماً عاماً وقائداً اعظم . واقام شريف باشا ، احد اقربائه ، والياً على الشام وعلى برية سينا ، ومنحه لقب حكمدار عربستان . ونصب متسلماً على عكا الشيخ حسين عبد الهادي النابلسي. وفوّض الى الامير بشير تولية من شاء من اقاربه على صيدا وصور وبيروت وطرابلس. ولكن لم يلبث ان رجع عن هذه المنحة ، فعزل الامراء الذين ولّاهم الامير بشير على هذه المدن وسلّمها الى بعض رجاله.

ثم سلخ صيدا عن عكا ، وولّى عليها سليمان باشا الفرنساوي . ويا ليت جميع الحكام الذين ولّاهم كانوا على مثال هذا الرجل! لانه برهن على انه الاداري الحكيم كما برهن على انه القائد الباسل الهمام . وقد جعل حنا بك البحري المسيحي مديرًا عاماً للحسابات ، وما زال يرتقي هذا في المناصب حتى نال رتبة امير آلاي . ولما اقام على كل مدينة متسلماً اوجد فيها وظيفة مباشر اناط به ادارة الاموال والحسابات ، والّف ايضاً في كل مدينة عدد سكانها من عشرين الف نفس فما فوق مجلس شورى من اعيان جميع الطوائف ؛ فكان عددهم في الشام واحداً وعشرين من المسلمين والنصارى واليهود ، وفي بيروت اثني عشر وقد ذكر كتاب «حروب ابراهيم باشا المصري في سورية والاناضول» اسماءهم ، فكانوا من المسلمين : عبد الفتاح حماده ، وعمر بيهم ، واحمد العريس ، وحسن البربير ، وامين رمضان ، واحمد جلول . ومن المسيحيين : جبرائيل حمصي ، وبشاره نصرالله ، والياس منسى ، وناصيف مطر ، ويوسف عيروت ، وموسى بطرس.

وكانت قرارات هذه المجالس في المدن تستأنف الى مجلس شورى عكا، او مجلس شورى دمشق، وعند اللزوم كانت تميّز الى القاهرة.

وانشأ محاكم مدنية للنظر في القضايا الحقوقية والجزائية، ومحاكم شرعية لفصل المنازعات المذهبية.

ولا ريب في ان هذه الترتيبات والتقسيمات قد وُضعت عن حسن قصد ورغبة اكيدة من مُوجدها في السير في سبيل الخير العام وتوفير اسباب رُقي البلاد ونجاحها. ولكن يا للاسف لم يمضِ وقت طويل حتى ظهر الخلل في تطبيق هذه التنظيمات، إمّا عن جهل المأمورين واجباتهم، وامّا عن سوء استعمال الوظيفة. فانهم استبدوا كل الاستبداد في الرعية، فساموها خسفاً وظلماً، ولم يجدوا باباً لابتزاز اموال العباد الّا ولجوه ولا طريقاً الّا سلكوه. وقد استنبط بعض الولاة اساليب شيطانية للكسب لم تخطر على البال، فكانوا يتاجرون باللحوم والفواكه، ويحتكرون الحاصلات ثم يبيعونها بالمزاد العلني، ولم يكونوا يسمحون لغير الذين اشتروا منهم ان يبيعوا ما عندهم الا بعد ان يفرغ الذين اشتروا من بيع ما اشتروه. وكان المحاسبون والمباشرون الموكول اليهم جمع الاموال يجرون على هذا المنوال. ولقد تطرق ايضاً هذا الفساد الى مجالس الشورى، فجاء وجودها اكثر ضرراً من عدمه.

كانت الحكومة المصرية في بدء احتلالها البلاد قد اذاعت بين السكان بلاغاً اعلنت فيه عزمها على تخفيف الضرائب عن كواهل الشعب. ولكنها ما عتمت ان اثقلت مناكبهم بضرائب جديدة لم تكن معروفة من قبل، فوضعت مال الفردة، ومال الدخوليات، واحتكرت حاصلات الحرير، وتظاهرت بالغاء الاعانات التي كان يتقاضاها الحكام في عهد الحكومة العثمانية. بيد أنها في الحقيقة لم تلغها الا لتحدث ما يعادلها او يفوقها، فوضعت ضريبة خاصة على التوت وكافة الاشجار المثمرة كالزيتون وغيره لا تقل عن خمس غلّتها. ولم تستثنِ منها المغروسات الجديدة، وهو حيف ضاق الناس ذرعاً عن احتماله فامتنعوا عن غرس الاشجار المثمرة.

اما الفُردة[١] ، وما ادراك ما الفُردة ! فهي الضريبة الملعونة التي هاجت لها الخواطر وتألمت من فداحتها النفوس . وقد كانت عبارة عن مال وضع على اعناق الذكور الذين تجاوزوا الرابعة عشرة من عمرهم الى الستين منه ، وكانت تؤخذ منهم حسب مقدرتهم بنوع انها لا تقل عن خمسة عشر قرشاً على المكلّف الفقير ، ولو كان معدماً ومتسولاً في الشوارع يستندي اكف الناس ، ولا تزيد عن الخمسمائة قرش على المكلف الغني . والذي زاد في الطين بلّة هو انه لما نقص عدد المكلفين ، إمّا بسبب الوفيات في الحروب او من الامراض واما بسبب المهاجرة الى البلاد القاصية ، اوجبوا على الاحياء دفع المال المتوجب على الذين توفاهم الله او هاجروا . فمن كان في الاصل يدفع مثلاً خمسمائة قرش اصبح يدفع الفاً او الفاً وخمسمائة وهو ظلم فادح .

امّا ضريبة الشونة[٢] فكانت عبارة عن تكليف الاهالي تقديم حاجات الجيش من الحبوب والسمن والزيت ، ونقلها من بلدتهم الى اقرب شونة عسكرية ، إمّا على دوابهم او على دواب يستأجرونها بمالهم . ومن تأخر عن الدفع وعن جميع ما كان يطلب منه من التكاليف كان يُلقى عليه القبض ويزج في اعماق السجون ، بعد ان يوسع ضرباً ويُسام جميع صنوف الاهانات والتعزير . وقد ادى الامر بالكثيرين الى الفرار فاقفرت المدن والقرى ، ولجأ الكثيرون الى الجبال العالية يقتاتون باعشاب البرية ، يفترشون الارض ويلتحفون السماء ، ويلعنون دولةً كانوا يظنونها الصديقة الرحومة فاذا هي العدوة الظالمة .

(له صلة)

---

١) لم اهتدِ الى اشتقاق هذه الكلمة ، أتكون تصحيف فريضة ؟ وقد جاء في محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني : الفُردة عند المولّدين ضريبة توضع على الراس .

٢) جاء في المنجد للاب معلوف اليسوعي : الشونة مخزن الغلة .

الرُّتب الكهنوتيّة

في

الطائفتين المارونية والسريانية

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٣

٣ً طقس رسامة الرسالي

الرتبة الثالثة والاخيرة من الرتب الصغيرة رتبة الرساليّ ويقال له ܗܘܦܘܕܝܩܢܐ هفودياقن بلفظ يوناني . وسمّاه المجمع اللبناني شدياقاً . غير ان السيد يوسف دريان اثبت (ص ٧٩) ان استعمال لفظ الشدياق في الطقس الماروني غلط . ولما كان الرسالي ، على ما صرّح المجمع اللبناني (٣١١ و٣١٢) ، لم يزل يُحسب عند الموارنة (وعند السريان ايضاً) في عداد اصحاب الدرجات الصغار ، كان لذلك غير مكلّف بتلاوة الفرض وحفظ التبتّل كما يكلّف الشماس والقس ... وله حقّ الاتشاح بالبطرشيل . ويلزمه ان يبرز في ديوان الامتحان صكّ رسامته قارئاً وشهادة عماده الخ . ويجب ان يكون بالغاً السنّ الثامنة عشرة عند السريان ، والرابعة عشرة عند الموارنة ، خبيراً بالطقس والالحان البيعيّة ، مدركاً من اللغة السريانية ما به الكفاية . وقد ذكر ابن العبري في كتاب الهدى (ص ١٠٢) ان الرسالي يلزمه ان يتعلم مزامير داود كلها ظاهراً .

واذا حان وقت الرتبة ، لزم المنتخَب ان ينتصب داخل باب المذبح لابساً ثوب القارئ ، اعني القميص ، والبطرشيل ، مكشوف الراس منحنياً ومتكتفاً ، ريثما ينتهي الحبر من القداس الى الرفعة . وبعد هذا يغطّي الاسرار بالناقور

ويغسل انامله ويلبس التاج ويمسك العكاز الخ . ويبدأ بالرتبة كما ذكرنا آنفاً[١] حتى ينادي الشماس الماروني : «فلنقف حسناً» الخ . ويصلّي الحبر : « استمع يا رب صلواتنا برحمتك » الخ . ويتلون التقاديس الثلاثة وقانون الايمان على ان هذه المناداة وما يتبعها لا ذكر لها في المجمع اللبناني (ص ٢٦٤) ولا اثر لها في بعض نسخ الطقس الماروني كما اثبت السيد يوسف دريان (ص ٧٩).

اما المجمع اللبناني فقال (ص ٢٦٤) حين يرسم الشدياق يتوشح بدرع القارئيّة ويقبّل يد الاسقف الجالس امام المذبح قائلاً : بارخمور . فيسمه الاسقف في جبهته ثلاثاً قائلاً : «ليباركك الرب الاله في عداد شدائقة كنيسة القديس فلان» الخ . ثم يتلو صلاة الفاتحة والشماس يرتل : فلنقف حسناً الخ . ورئيس الشمامسة يقود المنتخب الى الاسقف قائلاً : نقدّم لقداستك الخ . فيأمره الاسقف فيجثو على يسرى ركبتيه ، كما يجثو المنتخب في الطقس السرياني . ثم ان الحبر الماروني يضع يمينه على صدغي المنتخب قائلاً : ܛܝܒܘܬܐ ܐܠܗܝܬܐ النعمة الالهية[٢] الخ . ويدقّ بيديه على هامة المنتخب ويقول سرّاً ، كالحبر السرياني : «اجل يارب اجعله مستحقاً لهذه دعوة الرساليّة» الخ . ويجهر : «لانك الاله رحيم» الخ . ثم يستتلي سرّاً : «اللهمّ ربّ القوات المقدّسة السماويّة» الخ . اما الحبر السرياني

---

١) اضرب المجمع اللبناني عن ذكر مقدّمات الرسامة الى الحسّاي ، والايات الاربعة ، والطر كعادة السريان والموارنة (دريان ٦٦) مع انه ذكر ذلك في رسامة المرتّل . (ص ٢٦٣) ويُستخلص من ذلك انه ما اضرب عن ذكره الّا لكونه معلوماً ومفهوماً .

٢) ذكرنا آنفاً ان لا اثر لهذه الدعوة في رسامة القارئ ولا في رسامة الرسالي . ونضيف الى ذلك ما اورده السيد يوسف دريان (ص ٢١ و ٣٦ و ٤٤) قال : ان هذه الدعوة ليست الصورة الجوهريّة – كما يظنّ غير واحد من الموارنة لانها ليست انشائية او ابتهالية بل اخبارية . . . وممّا يزيد ذلك اثباتاً استعمال كنيسة السريان الكاثوليك في الحال ، فاننا قد اشتركنا معهم مراراً في رسامة بعض اساقفتهم في دير الشرفة بكسروان وقد نبّه خاطرنا جدّاً ما اجروه عند بلوغهم الى هذه المقالة نفسها فان احد الشمامسة (الاساقفة ؟) قد تلاها علناً على الشعب عند باب المورس كسائر الكرازات . فلو كانت هذه المقالة هي الصورة الجوهرية للرسامة للزم عن كلّ ما تقدّم انها لم تكن تتمّ عندنا قبل عهد العلّامة الدويهي وهي الى الآن لا تتمّ عند السريان ، وهذا محال كما لا يخفى . امّا الدويهي فقال (ص ٢٣٧) ان هذه المقالة . . . هي بدل الصورة فتسمّى في الكتب الالهيّة اوقاتاً صلاة واوقاتاً بركة .

فيتلو هذه الصلاة بعدما يقرأ المنتخب قراءة أشعيا (٤٤ : ١ ـــ ٧ و ٥٩ : ٢١ و ٦١ : ١ ـــ ٣) . على ان السيّد دريان قال (ص ٢١) : ان العلّامة الدويهي وضع هذا الابتهال قبل مقالة التقديم خلافاً لوضعها القديم.

ثم يلتفت الحبر في كلا الطقسين نحو المذبح ويضمّ اصابع يديه كلتيهما كالحلقة ما عدا الابهامين حول الطبق فالكاس ، ثم يتّجه هكذا فيمسك باصابعه عينها صدغي المنتخَب ويصلّي سرّاً : «ايها الاله الابدي ماسح الملوك ومقدّس الانبياء» الخ . ويتّجه نحو المذبح ويجهر : «واغرسه كالزيتونة الغزيرة الثمار» الخ. ثم يقول : السلام لجميعكم . ويقول الشعب : ولروحك. وعندما يصلّي الحبر هذه الصلاة سرّاً ينشد الشماس السرياني وحده او الشمامسة الموارنة جميعاً قوريااليسون.

ثم يصلّي الحبر الماروني سرّاً : «اللهمّ يامن منح الكهنوت لسبط لاوي» الخ. ويلتفت الى المذبح ويجهر : «ونؤدّي التسبيح والشكر» الخ . وينادي رئيس الشمامسة : «لنقف كلّنا بالصلاة» الخ. ويضع الحبر الماروني عينه يده على الاسرار فعلى هامة[1] المنتخَب ويقول سرّاً : «ايها الرب الاله الحنون العطوف» الخ. ويتّجه نحو المذبح ويقول جهراً : «بنعمة ورحمة ومحبة» الخ. وبعد هذا كله يصلّي سرّاً كالحبر السرياني : «انظر الينا يا ربّ والى خدمتنا ونقّنا من جميع الادران» الخ ويجهر : «لانك الاله الراغب في الرحمة» الخ.

وبعد هذا يُنهض الحبر في كلا الطقسين المنتخَب عن الارض ، ويضع يمينه على جبهته لا على هامته[2] ، ويعلن في السريانيّة لا في العربية : ܐܬܬܣܝܡ اي : ارتقى في بيعة الله المقدّسة فلان[3] الخ . فيقول رئيس الشمامسة : «فلان هفوذياقوناً لمذبح الكنيسة الفلانيّة» الخ. فيتلو الحبر : فلان الهفوذياقون في الكنيسة الارثذكسية المقدسة التي سبقت فاشتهرت . بسم الآب ☩ فيقول

١) لا يضع الحبر يده الّا على هامة من يترقّى الى الرتب الكبيرة كما ألمحنا.

٢) لا يحلّ للحبر في رسامة الرسالي ان يضع يمينه على هامة المنتخَب ، بل ينبغي ان يسم جبهته بابهامه شكل صليب ثلاثاً (المقتطفات للسيّد اغناطيوس افرام رحماني (٣ : ٢٦).

٣) المجمع اللبناني ايضاً : ٢٦٥ ، والسيّد دريان : ٨٤.

الشعب : آمين . والابن ✠ آمين . والروح ✠ القدس للحياة الابدية »[1] . وعد ذكره اسم كلّ من الاقانيم المقدسة يسم المنتخب بالصليب او بابهامه ثلاثة صلبان في جبهته . ثم يلبسه هوّاره قائـلاً بالسريانيّة : لمجد واكرام وتبجيل وتعظيم الخ ويجاوبـه الاكليرس بالمثل . وفي ذلـك كلّه يتّفق الطقسان اتمّ الاتفاق . غير ان العلّامة الدويهي اكتفى بقوله ان الحبر يوشّح المنتخب بالهرار على رقبته ولم يزد . كأن لبس الهرّار معروف لا يحتاج الى تنبيه . ذلك بان يضعه الحبر على كتف المرسوم اليسرى من ناحيـة صدره ثم يديره على ظهره ويلفّه تحت إبطه اليمنى وعلى صدره ويلقيه اخيراً على كتفه اليسرى من ناحية ظهره . وبعد هذا يتلو صلاة الشكر سراً : «نقبل نعمتك ايها الرب الضابط الكل» الخ. ثم يجهر : «ويمجد امانك برحمة» الخ. ويدفع اليـه شمعة مضيئة ويقول بالسريانية آية داود النبي : انا كالزيتونة المجيدة[2] الخ . ويردف المرسوم قائلاً الآية عينها . ثم يقبّل المذبح ويمين الحبر ويحيّيه المؤمنون . وبعـد ان يتناول الحبر القربان المقدس يناول المرسوم ويختم القدّاس.

امّا الطقس الماروني فبعـد صلاة الشكر وتسليم المرسوم مصباحاً مضاء ، قرّر ان يطاف به في الكنيسة بالمانيث ثلاث دفعات كما يُطاف بالمرتـل والقارئ . وعند وصوله الى محلّ التنديل يطفئه ويضيئه ثلاثاً . وعند بلوغه الى باب الكنيسة يغلقه ويفتحه ثلاثاً . وينشد رئيس الشمامسة : [illegible] [illegible] الخ . وفي الطواف الثالث يصكّ النـاقوس ، ثم يقرأ من اعمال الرسل (٢ ١٦ – ٤٧). وينادي رئيس الشمامسة: لنقف كلّنا بالصلاة الخ. ويختم الحبر: «يا الاه الالهة وربّ الارباب» الخ. وهذا كلّه لا اثر له في الطقس السرياني كما اشرنا . ويظهر ان احبار الموارنة اضافوه مع تمادي الزمان ازدياداً لرونق الرتبة.

ومن حقوق الرسالي وفروضه ان يخـدم في الكنيسة كالوافه ، فيضي

---

١) قال السيّد دريان (ص٨٤) : ان الشرطونيّة القديمة عند الموارنـة تتّفق اتفاقاً تامّاً في تلاوة المامعنيت بالتناوب ما بين الحبر والارشدياكن . كالطقس السرياني.

٢) يقول الحبر والمرسوم معاً . دريان ٨٤ في الطقس الماروني.

القناديل ، ويحرس الابواب[١] ، ويكنس الكنيسة ويقرع الجرس داعياً الى الصلاة . ويمسح الاواني المقدّسة وينشفها ويضعها على المذبح . ويقرأ اعمال الرسل والرسائل القاتوليقية وسير الشهداء . ويجمع القرابين ويصبّ الماء على ايدي الكهنة والاحبار . ويخرج الموعوظين من الكنيسة بعد قراءة الانجيل[٢]. وله كما قلنا ان يمسك شمعة مضيئة في القدّاس والدورة[٣] . ولا يحق له ان يقرأ من رسائل مار بولس ولا يلتزم بنذر العفّة . والخلاصة ان رتبته في كلا الطقسين السريانيّين تُحسب من الرتب الصغيرة لا الكبيرة[٤].

٤ً طقس سياميذ[٥] الشمّاس اي الدياقُن

اول الرتب الكبيرة المقدّسة في الطقسين رتبة الشمّاس . والشمّاس ܡܫܡܫܢܐ او ܡܫܡܫܐ لفظ سرياني بحتٌ يُطلَق على خادم الاسرار المقدّسة. ولا يرقّى لهذه الرتبة الّا من بلغ الحادية والعشرين على ما نصّ المجمع اللبناني (٢٥٧) ، او الثانية والعشرين على ما حدّد مجمع الشرفة (١٦٣).

ويُفرَض على الشمّاس ان يتلو الصلوات القانونيّة في الخورس او على انفراد ومن حقوقه ان يجهّز أواني القدّاس ويضع فيها الخبز والخمر وينشّفها . وينبه المؤمنين ومَن تحت رتبته من خدَمة الاسرار الى الوقوف والجثو والصمت والترنيم في الكنيسة . وان يقرأ رسائل مار بولس لا الانجيل . وان يبخّر ويلوّح بالمروحة . ويطلق لحيته . وله كذلك باذن الاسقف ان يلقي الوعظ في الكنيسة ويعمّد ويناول . ولكن لا يباح له ان يمنح سرّ التثبيت. وليس

١) الهدى لابن العبري (ص ١٠٢).
٢) المقتطفات ٣:٢٦.
٣) مجمع الشرفة ١٦٢
٤) الدويهي : ١٩١ ، والمجمع اللبناني : ٢٥٥ ، ومجمع الشرفة : ١٦٣ ، والسّد دربان : ٧٨.
٥) السياميذ ܣܝܡܐܕܝܬܐ سرياني يراد به وضع يد الحبر على هامة من يتقبّل الرتب المقدسة. ونعتقد ان لفظ «سيامة» في استعمال العامّة تحريف سياميذ.

له كذلك ان يبدأ بالصلاة العموميّة الّا في غياب القسّ ، كما انه لا يرخص له ان يجلس وقت الصلاة ، الّم يأذن له الحبر او القس في ذلك[١] . ومتى ارتقى الشمّاس الى هذه الرتبة المقدّسة حُرّج عليه عقد الزواج بتاتاً .

امّا طقس سياميذ الشمّاس فيجب اول بدء ان يتردّى المنتخَب بالقميص وبطرشيل الرسائليّ ، وينتصب واقفاً في الخورس من بدء القدّاس الى الرفعة . وحين ذاك يجلس الحبر في الطقسين على الكرسي ويتلو عليه بعض قوانين وبنود دينيّة تسمّى ܦܘܩܕܢܐ[٢] . حتى اذا انتهى من قراءتها استدعى المنتخَب ليرسم صليباً على الكتاب ويثبت اسمه الى جانبه عربوناً لاخلاصه وامانته . ثم يضع الحبر السرياني يمينه على كتف المنتخَب ويدخله الى المذبح قائلاً في السريانيّة : « روح القدس يدعوك لتكون شمّاساً في الكنيسة المقدّسة . » فيجثو حينئذٍ على الركبة اليمين ويتكتّف[٣] . ويبدأ الحبر في كلا الطقسين : « اهّلنا ايها المسيح الهنا ان نكمّل هذه الخدمة الطاهرة السريّة » الخ . ويردفها بقوله : « زيّن يا ربّ عبدك » الخ . ويترنّم الشمامسة والكهنة بالمزامير والالحان ، وبالابيات المسبّقة بمزمور « ارحمني يا الله » . ويرتّل احد القسوس الحسأي : « اذاك الذي يجود بنعمته » الخ . ثم : « ايها المسيح الهنا مجمّل الخدمة الروحيّة » الخ فاربعة ابيات بلحن ܐܠܐ ܐܠܐ . فالعطر : « لوفرة مراحمك » الخ .

ثم ينادي رئيس الشمامسة الماروني مناداة او باعوثاً افراميّاً بدوره : ܐܘܟܝܬ ܢܦܫܢ ܘܚܘܬܠ الخ . ويصلّي الحبر : « ايها الاله القدّوس المرتضي بالقديسين » الخ . وقد أُضيفت هنا في بعض النسخ المارونيّة التقاديس الثلاثة ، وقانون الايمان ، خلافاً للوضع القديم وللمجمع اللبناني . ثم ان رئيس الشمامسة

---

١) المجمع اللبناني : ٢٦٦ و٣١٢ و٣١٣ ؛ ومجمع الشرفة : ١٦٣ و ١٦٤ ؛ وشرطونيات الدويهي : ١٢٤ ؛ والهدى لابن العبري : ٩٥ ؛ والمنتخبات ٣ : ٢٥

٢) الدويهي : ٢١٤ ، وفي بعض الصحف المارونيّة ان قراءة الاموليغيا تسبق الرتبة الاولى .

٣) ورد في بعض النسخ القديمة ان التكتّف يكون بضمّ الكتفين الى الظهر ، لا الى الصدر .

يقدّم المنتخب الى الحبر قائلاً : « نقدّم لقداستك » الخ . فيأمره الحبر ان يجثو على الركبة اليمين ، ويضع يمينه على رأسه ويقول: « النعمة الالهية » الخ. ويقول الشمّاس : « بالسلام الى الربّ نتضرّع » الخ . ويصلّي الحبر سرّاً : « نعم يا رب اجعله اهلاً » الخ . ويجهر : « لانك اله رحيم » الخ . وهذه الصلاة الاخيرة يتلوها الحبر السرياني في رسالة الرسالي.

امّا في الطقس السرياني فبعد صلاة العطر يقرأ الشمّاس كما يقرأ الشمّاس الماروني ايضاً من رسالة بولس الاولى الى طيماثوس الفصل ١١٦ و ١١٨[1] .اعني (٣: ٨ــ ١٥ و ٤ : ٦ــ ١٠) . ثم يرتل الحبر السرياني الانجيل من يوحنا (١٢ : ٢٤ــ ٢٦ و ٣٥) ، و ١٣ : ٣١ــ ٣٥ ولوقا ١١ : ١٣) ، ويبدأ بالمزمور ١٥٠ يردفه الاكليرس بابيات ܫܒܚܐ ܘܐܝܩܪܐ ܡܫܡܫܢܘܬܗ الخ . ثم يصلّي كلا الحبرَين سرّاً : « ايها الربّ اله القوّات » الخ . ويجهر : « واقبل الشمّاس وكمّل عبدك » الخ.

وهنا يدفع الحبر السرياني عكّازه الى رئيس الشمامسة فيقبل هذا يمينه ، ويقبض على العكّاز مرفوعاً عن الارض ، وينتصب في باب المذبح من ناحية الجنوب ملتفتاً نحو الشمال وينادي بصوت جهوريّ : ܠܡܫܡܫܢܘܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܡܫܡܫܢܐ[2] الخ . فيأتي بالمنتخب كفيله الى الحبر ، فيعلن الحبر : ܢܥܒܕ ܘܢܬܠ الخ. ويردف رئيس الشمامسة : ܦܠܢ ܡܫܡܫܢܐ الخ . ثم يتلي : ܒܡܫܡܫܢܘܬܟ الخ ثم يصلّي الحبر سرّاً : « اقبل برأفتك » الخ . ويجهر : « لكي يستحق بعطفك » الخ. (للبحث صلة)

---

١) الارقام مطابقة للمخطوطات السريانية القديمة التي تحصي فصول رسائل مار بولس بدءاً من رسالته الى رومية . وهكذا اثبتها المجمع اللبناني (٢٦٦).

٢) اشرنا الى هذه الكرازة في حاشية علّقناها على ܠܡܫܡܫܢܘܬܐ في رسامة الرسالي.

جولة في المجلات

موتمر اورشليم الاسلامي – النثر الجاهلي

موتمر اورشليم الاسلامي

كتب تيأردا (F. Taillardat) في مجلة « آسية الفرنسوية » (L'Asie Francaise, Février 1932, p. 54-57) بحثاً ملخصاً عن المؤتمر الاسلامي الذي عُقد في ٧ كانون الاول الفائت في القدس الشريف . فذكر اسباب فشله رادًّا اياها الى غاية المؤتمرين المزدوجة : اي البحث في اعادة الخلافة ، وانشاء جامعة اسلامية في القدس تقوم مقام الأزهر.

وقال ان هذه الغاية لم تُعرف حتى هاج الرأي العام الاسلامي على المؤتمرين ، شاكًّا في حسن نياتهم ، ناسباً اعمالهم الى ارضاء الاجانب والرغبة في تحويل العاصمة الاسلامية الى مدينة تحت الانتداب الانكليزي . ولم تكن حكومة من الحكومات الاسلامية المدعوة الى المؤتمر كافغانستان ومصر واليمن والحجاز ونجد والعراق ، وغير المدعوة كسائر حكومات الشرق الاسلامي لتنظر بعين الرضى الى انعقاد المؤتمر . وكان يعدّ المسلمين في نقمتهم عليه جرائد تركية وبلاد السوفييت خاصةً . وقد نشر الكاتب مقتطفات من هذه الصحف تظهر كلها معاكسة للموتمر ، دالّة على اصابع السياسة الاجنبية الرامية الى السيطرة على المسلمين بواسطة اعادة الخلافة . وختم مقاله قائلاً :

«لقد فشل المؤتمر. وان هو لم يصادف النجاح ايضاً في مسألة انشاء الجامعة ، فلأن هذا المشروع ظهر سياسياً قبل كل شيء. غايته نشر دعاية لم تكن لتعززها القاهرة ولا مكة ولا استامبول.

« وقد شعر العالم الاسلامي شعورًا غريزيًا ان مشروع المفتي اذا نجح يرجع به الى الاسلام القديم . ففشل المؤتمر فشلاً تامًا.

« ونحن اذا طرحنا من المؤتمرين الثانية والثمانين مندوباً المجتمعين من فلسطين ومن شرقي الاردن وكلهم من احلاف المفتي ، لا يبقى الّا نحو الخمسين من مندوبي الاجانب . وفضلاً عن ذلك يجب ان نذكر ان الكثير من هؤلاء ايضاً لا يمثلون الّا شخصيتهم فحسب . وقد بلغ من قحط الرجال يوم افتتاح المؤتمر أن مريديه كانوا يفتشون في جميع انحاء اورشليم عن مسلمين اجانب ليجعلوهم مندوبين عن الانحاء الاسلامية المختلفة . من ذلك الحادث الجدير بالانتباه الذي ذكره ڤيلنسكي (Vilensky) عن مندوب « البلاغ » ،

وهو انه ذهب الى ادارة المؤتمر ليطلب تذكرة للحضور بصفة كونـه صحافياً وشدّ ما كان انذهاله اذ رأى نفسه يترقّى حالاً الى درجة مندوب ، ويُعلن باسمه ممثلاً القطر المصري.

« واذا تذكرنا اخيراً ان نحو العشرين من المندوبين الاجانب تركوا المؤتمر بعد جلسته الافتتاحية ، نصل الى النتيجة التالية وهي : ان الرغبات التي نشرها المؤتمر كمقاطعة البضائع والمحصولات اليهودية في البلدان الاسلاميـة ، وطرح قرار لجنة جمعية الامم في ما خصّ المبكى ، وتأليف جمعية تبشيرية من المرسلين غايتها شرح الاسلام ونشره ، لم يقرّها الّا نحو الثلاثين من الافراد اجتمعوا في جمعية صداقة لا صفة شاملة لها.

« وبعد ان اثار المؤتمر الاسلامي المناظرات الحامية ، ختم جلساتـه وسط الإعراض العام . فكان فشله تاماً . ولم يكن بالامكان ان يحـدث غير ذلك اذا اعتبرنا التطوّر الحالي في العالم الاسلامي.»

النثر الجاهلي

جاء في مجلة المجمع العلمي العربي (كانون الثاني - شباط ١٩٣٢ ص : ١١٥) بعنوان « آراء وافكار : النثر الجاهلي» وبدون توقيع :

بعد ان سكنت الضوضاء التي احدثها الاستاذ طـه حسين حول « الشعر الجاهلي » منـذ بضع سنين قامت اليوم ضجة أخرى حول « النـثر الجاهلي » احدثها تلميذه الدكتور زكي مبارك . فقد نشر في جريدة « البلاغ » المصرية منذ حين مقالات بعنوان « النثر الجاهلي » و « نشأة النثر الفني » حرك بهـا من اقـلام كبار كتّاب الادب في مصر فانبروا لتأييده في بعض ما ذهب اليـه ومعارضته في بعضه . وقد احببنا ان ننشر خلاصة من هـذا الموضوع الجم الفائدة الطريف الاثر في آدابنا العربية :

افتتح الدكتور مبارك مقاله بهذا السؤال :

« هل كان للعرب نثر فني في عصور الجاهلية ؟ وهل كانوا يفصحون عن اغراضهم بغير الشعر والخطب والامثال ؟ »

واجاب على ذلك مخطئاً اولاً من قال ان العرب قبـل الاسلام لم يكن

لهم وجود ادبي ولا سياسي . وقائل هذا القول اما مسلم يرى ان الاسلام هو الذي خلق العرب ونقلهم من الظلمات الى النور ، او مؤرخ يشك في ما اثر عن العرب من الآثار الادبية . ومنهم من غلا فزعم ان عرب الجاهلية كانوا يعيشون عيشة اولية وهذه الحالة لا تسمح لهم بتولد النثر الفني فيهم . وصاحب هذا الرأي هو المسيو مرسيه وشايعه عليه الدكتور طـه حسين . ويراد بالنثر الفني ما يلجأ اليـه الرجل لاذاعة فكرة او دفع شبهة او ايضاح مشكلة . واستبعد الدكتور مبارك ان يكون للامم التي تجاور العرب كالفرس واليونان وغيرهم نثر فني قبل الميلاد باكثر من خمسة قرون ثم لا يكون للعرب نثر مثله بعد الميلاد بخمسة قرون

قال والدليل على خطأهم في ذلك ان القرآن اشار الى انه كانت لـدى العرب كتب تدرس وكتابة تمارس بدليل آية « وما كنت تتلو من قبلـه من كتاب ولا تخطه بيمينك » فالنثر الفني كان موجوداً ، وكان يُكتب ويتداول وعدم وصوله الينا لا يقتضي عدم وجوده . فهو قد ضاع لاسباب: اهمها شيوع الامية وقلة التدوين في الجاهلية ، وبعد نثرهم عن الحياة الاسلامية التي حدثت بنزول القرآن.

وبعد ان اثبت الدكتور مبارك وجود النثر الجاهلي على هذه الصورة عاد يبحث عن طريق يثبت به كيف كان نثرهم الفني ؟ وما هو أسلوبه ؟ وما هي الاتجاهات العقلية التي كان يرمي اليها كاتبو ذلك النثر في ذلك العصر ؟

فذهب الى ان النصوص المروية كأسجاع الكهان وعظات الخطباء وخطب الوفود لا تكفي لتعيين اساليب النثر الجاهلي . وهي على قلتها مما وُضع في العصر الأموي لاغراض دينية او سياسية او قومية اي بيان فضل العرب . وبعد ان افاض في اثبات رأيه هذا قال : والنتيجة اننـا لا نستطيع ان نعطي النثر الفني الجاهلي لوناً نطمئن اليه ما دمنا لم نظفر بنصوص صحيحة منه ، اما مـا روي من تلك النصوص فهو منحول مختلق . وهذا الشعر الجاهلي ارتابوا في صحة اكثره مع ان الشعر يسهل حفظه ويعتنى بروايته فكيف بالنثر وهو ليس بهذه المثابة.

فاذا لم تكن النصوص المروية كافيــة في تبيين أسلوب النثر الفني فما هو الشيء الذي يثبت لنا ذاك ؟

اجاب الدكتور مبارك بانه القرآن . وبديهي ان رأيه هذا فيه مفاجأة حادة يصعب التسليم بها على كثير من الباحثين المسلمين . ولذا تغيّر اتجاه هذا البحث الى المنزع الديني بعد ان كان ادبياً محضاً . فرد على الكاتب طائفة من انبل كتاب مصر امثال الاساتذة محمد عبد المطلب (رحمه الله) ومحمد لطفي جمعة وفريد وجدي . ولا يخفى ان القرآن في اعتقاد المسلمين وحيٌ آلهي ، فكيف يقول الدكتور انه نثر جاهلي .

وقد اجاب على هذا بان اتخاذه القرآن نموذجاً النثر الجاهلي لا يلزم منــه نفي ان يكون القرآن وحياً الهياً كما لا يلزم منه ان لا يكون كذلك . وكل ما يريد اثباته هو ان أسلوب النثر الفني الجاهلي إن فقــدنا نصوصه الاصلية الجاهلية فاننا نراه مصوّراً وممثلاً في آيات القرآن التي ضربت على غرار ذلــك النثر وهي تعطينا صورةً صحيحةً عنه . لانها نزلت لهداية اولئــك الجاهليين وارشادهم . ولا يمكن ذلك الا بمخاطبتهم بما يفهمون من الكلام والاساليب وقد صرح القرآن بان الرسول لا يُرسل الا بلسان قومه ليبين لهم . ولا معنى لهذا الا ان القرآن مفرغ في اساليب العرب النثرية الفنية حتى يتيسر فهمهم لها فيسترشدوا بها . وكأن الدكتور يقول هذا كل ما أريده من قولي ان القرآن نموذج للنثر الفني الجاهلي . امــا كونه كلام الله لا كلام البشر او بالعكس فليس من مباحث الادب التي نحن في صددها . وقد تهكم الدكتور باستاذه طه حسين الذي قال ان القرآن « لا هو شعر ولا هو نثر وانما هو قرآن » . ثم ختم مقاله بقوله « والخلاصة ان القرآن نثر ، وانــه دليل على ان العرب كان عندهم نثر فني قبل الاسلام . فكان لهم بذلــك وجود ادبي متين قبل ان يتصلوا بالفرس واليونان . وفي هذا قضاء على اوهام من زعموا (ويريد بهم مرسيه وطه حسين) ان اول كاتب في اللغة العربية هو ابن المقفع الفارسي الاصل ، وان العرب لم يكونوا يعرفون من قبل غير الخطب والاسجاع والامثال . »

ثم يقول الملخّص ان الدكتور مبارك عرض بعد ذلك « للزخرف » الانشائي ، فزعم ،

خلافاً لمرسيه وطه حسين ، ان الزخرف عنصر اصيل في اللغة العربية . والاول يراه دخيلا فيها عن طريق الفرس ، والثاني عن طريق اليونان .

وشاهد زكي مبارك على ذلك القرآن ايضاً فهو مفعم بالزخرف والصنعة المحكمة التي تدل على ان المخاطبين بها وهم العرب يعرفون ما هي الكتابة الجيدة والأسلوب الجذاب . ثم اشار الدكتور الى ان البحث عن زخرف القرآن من اي جهة اتصل به هو بحث خطر : لان الرأي العام الاسلامي لا يسمح بدرس القرآن درساً تحليلياً يبين ما فيه من العناصر العربية الاصيلة والعناصر الدخيلة . . .

ولم يكتفِ الدكتور بما مرّ من امر « الزخرف » بل تعداه الى العلوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض والبديع ، فذهب الى انها اصيلة في لغة العرب بدليل وجودها في القرآن ولم تحدث في القرن الاول والثاني كما ظنه مؤرخو الآداب العربية . اذ لا يعقل ان يظهر كتاب كالقرآن بين قوم لم يفكروا في الفصاحة والعروض والنقد وطرائق التعبير ؛ فالقرآن ظهر في لغة تجاوزت طور الطفولة . واربابها المتكلمون بها لم يكونوا من الأمية بحيث وصفوا بل هم مستعدون — بثقافتهم الادبية — لفهم ما فيه من قواعد البلاغة واساليب البيان قال : بل انا اذهب ابعد من ذلك فأقرر ان الاسلام كان تاجاً لنهضة علمية وادبية وسياسية واخلاقية واجتماعية في الحدود التي كان يستطيعها العرب .

فالاسلام لا يتصور ان يكون نقل العرب من ظلمات الى نور ، بل من نور الى نور أتمّ لكن نورهم الاول لم تصل الينا صوره المختلفة . لاقى الاسلام من المعارضة آلاف المصاعب افيمكن الاقتناع بانه لم يُقل في معامع تلك المعارضة سوى ما نقل الينا من الخطب والرسائل ؟ اين السنة اليهود والعرب والأشراف من قريش ؟ واين ما قاله الصحابة في الرد على خصومهم ؟ وكل ما نقل الينا لا يصف حياة العرب العقلية فلا بد أن يكون هناك آثار ونصوص اندثرت ولو بقيت لفقهنا اسراراً جمة من حياة العرب العقلية وثقافتهم الادبية ومبلغ « الزخرف » الذي كانوا يزينون به لغتهم .

ثم اشار الدكتور الى ان ضياع آثار الجاهلية كان بالاسلام . وضياع آثار

الاسلام كان بحروب الردة حتى كاد القرآن نفسه يتلاشى لولا ما فعله ابو بكر من جمعه وتدوينه . فلعرب الجاهلية علوم ادبية كانوا يحذقونها قبل ان اتصلوا بالفرس والروم في العهد العباسي : فاذا استكثر المستشرقون ، ومن لفّ لفهم من أدبائنا ، على ابي الاسود الدئلي ان يكون هو اول من فكر في وضع علم النحو فانا استقلّ ان يكون هو المفكر الاول . بل اول من فكر هم عرب الجاهلية الذين عرفوا النحو وغيره من العلوم الادبية . وما قلته اتحمل تبعته والدفاع عنه وارجو ان يكون له اثر في فهم البيئة القديمة التي نزل فيها القرآن والتي سموها خطأ عصر الجهل وهي في رأيي عصر معرفة ونور .

ثم استشهد الدكتور بكلام لابن فارس يتنسم منه انه كان للعرب معرفة بالنحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة . وهو على الجملة يرى ان العلوم العربية كانت معروفة قبل الاسلام . وما حققه الدكتور مبارك في مقاليه هذين يمكن تلخيصه هكذا :

١ — كان لعرب الجاهلية نثر فني .

٢ — زخرف الفن الذي كان في نثرهم اصيل فيه لا دخيل .

٣ — آثار النثر الجاهلي ونصوصه لم يصل الينا منها الا النزر القليل المشكوك في صحته .

٤ — القرآن هو وحده الاثر العربي الموثوق به الذي صور لنا النثر الفني الجاهلي .

٥ — القرآن كما صور لنا نثر الجاهلية دلنا على انه كان لهم حياة عقلية وعلوم لغوية .

هذه تحقيقات الدكتور مبارك كما لخصها كاتب المجلة الدمشقية . وقد نشرناها لندلّ على استمداد بعض الاوساط الادبية في مصر لاثارة الضجات والرغبة في المفاجآت . والّا لما كان في هذا البحث الادبي ما يتطلب تلك الضوضاء ، اللهمّ مسألة القرآن الذي اعتبره الدكتور اثرًا ادبياً فحسب . على انه تنصّل من التبعة الدينية بافصاحه عن قصده من ذلك كما لخصته المجلة المذكورة . فلم يبقَ اذاً الّا البحث الادبي وليس فيه ما يدعو الى الاستغراب ، ولا ما يبرّر موقف الهجوم الشديد الذي يقفه الدكتور من الباحثين الذين تقدّموه . فانا لا نعرف عالماً مدققاً قال بانه لم يكن لعرب الجاهلية نثر فني ، بل جمهور المحققين على القول انه لم يصلنا عن عرب الجاهلية ما يستحق الذكر من آثار النثر الفني . وهذا قول الدكتور في تحقيقه ايضاً .

ثم ان الكاتب يميّز بين « النثر الفنّي الجاهلي » والخطب والامثال . فان اراد بذلك تمييزاً كميّاً اي انه قد يكون من آثار النثر الجاهلي الفني غير الخطب والامثال التي وصلت الينا ، كان على حقّ . وان اراد بذلك تمييزاً كيفياً بمعنى ان النثر يختلف عن الخطب والامثال ، لكان قوله بحاجة الى تحفّظ شديد ، لان الخطب والامثال من نوع النثر ايضاً .

وقد حدّد النثر الفني قائلاً : « هو ما يلجأ اليه الرجل لاذاعة فكرة او دفع شبهة او ايضاح مشكلة»وهو تحديد واسع يشمل الخطب والامثال ، بل يشمل اكثر من ذلك حتى انه يتناول جميع انواع التعبير . اما كون تلك الخطب والمواعظ وما اليها من اسجاع الكهان « لا تكفي لتبيين اساليب النثر الجاهلي» فصحيح . بيد انها تدلّ على وجود اساليبها هي في ذاك النثر . ولا يضير هذه الدلالة كون اكثر تلك النصوص موضوعة في العصر الاموي ، كما يرى الدكتور ، فان الواضعين انفسهم ، ان صحّ هذا الرأي ، جروا على امثلة كانت قديمة معروفة .

واما مسألة « الزخرف » فهي من متطلّبات الصناعة الفنية في كل ادب وفي كل لغة . ولا حاجة لان يكون هناك تأثير اجنبي في تلك اللغة ، كما بيّنه الدكتور . واذا تقرّر ان العرب الجاهليين عرفوا اساليب النثر الفني ، وهو ما نسميه «بالانشاد» في المقال التالي ، فقد رجح انهم استعملوا محسّنات هذه الاساليب التي تجمعها كلمة « الزخرف »والتي تظهر من عناصر « الانشاد » كما سنرى . ولكن لا ينتج من هذا انهم استخرجوا قواعد هذا « الزخرف » بما فيه من بديع معنوي ولفظي فاخذوا بتطبيقها في انشائهم كمن يطبّق اليوم مبادئ البيان وقواعد البلاغة . هذا ما يجنح اليه الدكتور ، او على الاقل ما ينسب اليه ملخّص البحث اذ يجعله يقرّر « ان عرب الجاهلية عرفوا النحو والعلوم الادبية » . وهو تطرّف ظاهر ان اردنا به معرفة العرب لنظريات النحو ونظريات تلك العلوم . لان الجاهليين كانوا في عصر الادب الشفهي الذي قد يبلغ ارقى درجات الفنّ احياناً ، ولكنه يتقدّم ضرورةً عصر الادب الكتابي الذي يتفرّغ فيه العلماء لجمع الآثار القديمة وتجريد الامثلة العامّة منها ، واستخراج القواعد الادبية والعلمية للنثر والنظم . وهو عصر لم يتوفّق اليه العرب الّا بعد الاسلام . مما لا شكّ فيه ان العرب طبّقوا النحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة في منشآتهم الفكرية . ولكنهم لم يطبّقوا ذلك عن اقرار سابق لهذه القواعد ، اي لم يدرسوا هذه القواعد اولاً ليطبّقوها . بل جروا على فطرتهم ومبلغ تصوّرهم للفنّ في عصر لم تكن تستعمل فيه الكتابة لتدوين الآثار الفكرية . وكان شأنهم في ذلك شأن جميع ارباب الادب الشفهي من يونان وفرنجة وعبرانيين . فبهذا المعنى ، وبه وحده ، يمكن القول ان الجاهليين « كان لهم معرفة بالنحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة . »

هذا في ما خصّ النقطتين الثانية والخامسة من تحقيقات الكاتب . اما الثالثة والرابعة فواضحتان . وان كان للدكتور زكي مبارك من فضل في هذا البحث كلّه فهو اشارته الى ما يفيده القرآن في درس مسألة « النثر الجاهلي » .

وبعد فان لنا في الموضوع رأياً قد يكون في ذكره بعض الفائدة لمن يجرّب حلّ هذه النقطة الغامضة من ادبنا . وها نحن ننشره في المقال التالي . ف . ا . ب .

حول النثر الجاهلي

آراء وملاحظات في «الانشاد»

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

اذا القينا نظرةً على آداب جاهلية العرب خاصةً وآداب جاهليات الامم عامةً، نرى مظهرًا واحدًا لا تكاد تختلف فيه امتان. وهو تقدّم ما ندعوه بالآثار الشعرية على ما ندعوه بالآثار النثرية.

وعلينا، قبل كل شيء، ان نشرح ما نفهم بالآثار الشعرية وبالآثار النثرية:

لقد اعتدنا في زمننا، زمن الادب الكتابي، ان نعرض مولّدات الفكر البشري، من قديم وحديث، على موازيننا ومقاييسنا الادبية الحاضرة، فنقسم التآليف الى قسمين متباينين نسمّي الاول منهما «شعرًا» والثاني «نثرًا». ونضع لكل قسم قواعد مقرّرة وطرقاً محدّدة تفصله عن القسم الآخر، وتبقيه الى ما شاء الله ضمن تحديده المتّفق عليه. هذا لاننا نقدر اليوم ان نصون تآليفنا من الضياع بواسطة طريقة تقوى على كرور الايام وتقلّبات الاحوال؛ وهي الكتابة التي تحفظ اكثر الافكار تجرّدًا عن الحسّ والخيال، وابعد التعابير عن الرنّة والايقاع.

اما في الاعصر القديمة، في عهد بداوة الشعب، قبل ان تُعرف الكتابة واسطةً لتدوين الآثار الادبية، اذ لم يكن بالامكان حفظ مولّدات المؤلّف بين قومه الّا اذا صادفت من قلوبهم وترًا حساسًا، وعرضت امام انظارهم صورًا خلّابة، ونالت من مسامعهم مواقع موسيقية؛ حينذاك لم يكن من مندوحة للمؤلّف عن الالتجاء الى هذه الطرق: العاطفة والخيال والموسيقى، وهي الشروط الاساسية لما ندعوه في عصرنا «شعرًا».

فاذا اخذنا اليوم تلك الآثار الادبية القديمة ، وحللناها دون انتباه لاحوال الزمن الذي قيلت فيه ، وعرضناها على موازيننا المادّية ، فسمّينا ما وافق بحورنا منها «شعراً» ، وما خالفها «نثراً» ، نكون قد شططنا في فهم الادب ، لاننا نسبنا نظريات متأخرة من توليد عصر الادب الكتابي الى قوم عاشوا في عصر الادب الشفهي فلم يعرفوا في آثارهم الفنية فرقاً بين الشعر والنثر[1] ، كالفرق المادّي المحدّد الذي نعرفه اليوم.

لم يكن هوميروس شاعراً ولا ناثراً في الياذته ؛ ولم يكن سليمان الحكيم ، وداود النبي ، وسائر انبياء اسرائيل ، والسيد المسيح ، شعراء ولا ناثرين في اناشيده ، ومزاميره ، ونبوآتهم ، وخطبه وامثاله ؛ ولم يكن « شعراء » الجاهلية ، وخطباؤها ، وكهّانها ، شعراء ولا ناثرين في قصائدهم وخطبهم واسجاعهم ؛ ولم يكن النبي محمد شاعراً ولا ناثراً في قرآنه . لم يكن جميع هؤلاء شعراء ولا ناثرين لانهم لم يكونوا ليهتموا بالفرق بين الشعر والنثر . بل كان لهم نوع واحد من الانشاء الفني الادبي ، نوع يؤثر في السامعين فيحملهم على الانتباه ، فالاصغاء ، فالفهم ، فالحفظ الى ما شاء الله ، الا وهو « الانشاد » . كان فنهم إنشاداً ، وهم كانوا منشدين.

ونحن نستعمل لفظة «الانشاد» للدلالة على هذا النوع من الانشاء الشفهي ، او من التعبير الفني ، الذي كان يستند فيه الخطيب او « المنشد » الى عناصر حسّية وخيالية وموسيقية تقرّه في الاذهان معتمداً اولاً على ذاكرته ، ثم على تأثر الحاضرين . هذا من جهة المعنى . اما من جهة المبنى ، فقد كان يستند « المنشد » في آثاره الى اسهل الاساليب البديعية علوقاً بالآذان واقربها الى الموسيقى العامّة ، وهي التضادّ والطباق ، والمقابلة بين التعابير والمقاطع ، والسجع خصوصاً . فانّ السجعات كانت بمثابة محطّات انشائية يقف عندها المنشد والسامع فيستريحان ، ثم يتابعان طريقهما : الاول في الالقاء ، والثاني في السماع

١) من الواضح اننا لا نعني بالنثر الكلام العادي الذي يحتاج اليه الانسان في حياته اليومية الاعتيادية من محادثة بني قومه والسعي في سبيل حاجاته ومرافقه ، بل الانشاء الادبي لآخذ باصول الفن.

والحفظ . وهناك ايضاً طريقة مهمة لاقرار « الانشاد » وهي تلك الترديدات والمراجعات وما تجرّه احياناً من انواع التوقف. وكلها اساليب لا يزال يلجأ اليها خطباء العصر ولا سيما المرتجلون منهم.

هذه بالاختصار عناصر « الانشاد » الذي يظهر عند الشعوب على عهد ادبها الشفهي[1] . فيكوّن فنّها الادبي السامي ، ويبدو وسيطاً او صلة بين «الشعر» و «النثر» . وقد يكون اصلا لهما فيتفرّعان عنه متوازيين حتى يستقلّا كل الاستقلال في عهد الادب الكتابي.

وكل هذه العناصر ظاهرة بجلاء ووضوح في الآثار العربية القديمة ظهورَها في ادب الشعوب المختلفة ولا سيما السامية . فاننا نرى كثيراً من المراجعات اللفظية والمعنوية في مراثي ارميا ، وفي نشيد الاناشيد ، وفي المزامير خصوصاً. ومن الامثلة الواضحة على ذلك المزمور الخمسون اذ يعيد النبي داود الفكرة نفسها مرّتين على مظهرين مختلفين ، وغايته اقرارها في ذهن السامعين فيقول :

ارحمني يا الله

كعظيم رحمتك   وككثرة رأفتك
امحُ   مآثمي   واغسلني كثيراً من اثمي
لأنني عارف بآثامي   وخطاياي كلّها امامي.
لك وحدك اخطأت   وامامك الشرّ صنعت..

---

١) وقد اهتم كبار علماء التعبير من الاوربيين في عصرنا بهذه المظاهر الانشائية ، ودرسوا تقسيمات الشعوب الجاهلية ، وما يوافقها من قوالب الكلام في عهد بداوتها ، والصلة بين الفكر والتعبير وحركة الاعضاء . فنشروا الآراء النيّرة في « الانشاء اليدوي » او المحاكاة ، « والانشاء الشفهي » وهو ما دعوناه « بالانشاد » ، و « الانشاء الكتابي » وهو آخر مراحل الادب . راجع في ذلك الكتاب الدقيق النفيس الذي نشره سنة ١٩٢٥ الاب جوس اليسوعي فاحدث ضجة عظيمة في عالم الادب والفلسفة والعلوم الكتابية واسمه :
Marcel Jousse S. J, *Le Style Oral rythmique et mnémotechnique chez les Verbo - Moteurs. Etudes de psychologie linguistique.* Paris, 1925.
وما ظهر عليه من المقالات النقدية خصوصاً في مجلات « الابحاث » (*Etudes*, 1925 (p. 183) et 1927(p.192)) و« الحياة العقلية » (*La vie intellectuelle*, 15 juin 1929) ، و « الآداب » (*Les Lettres*, juin 1927)
وللمؤلف نفسه كتاب آخر يحسن الاطلاع عليه وهو : *La pensée et le geste*, Paris, 1927

وفي مواعظ السيد المسيح امثلة عديدة على الطباق والمقابلات الجارية على هذا الاسلوب :

لقد قيل لكم . . . وانا اقول لكم . . .

اما المراجعات اللفظية والاسجاع والوقع الموسيقي وسائر عناصر الانشاد الضرورية ، والتي نعتبرها اليوم من انواع الزخرف البياني ، فكثيرة جداً في آثار العرب القديمة . حتى ان المهلهل قد يراجع الشطر الواحد عشرات المرات في بعض قصائده . ونتحقق الامر نفسه في بعض الاسجاع القديمة . ونلاحظ هنا اننا اذا فهمنا نظرية الانشاد وادركنا عناصرها تماماً ، لم نر صعوبة في جعل الزخرف اصيلاً في اللغة العربية ، وهو من شروط الانشاد كما قلنا . وكذلك فاننا نخفف من حملاتنا على الكثير من الآثار الجاهلية ومن انكارنا صحة نسبتها بسبب اتصافها بالحشو او المراجعات او السجعات فتبدو لنا وليدة التكلف والتصنع . وقد تكون في الحقيقة مقصودة الاسلوب لتسهيل حفظها ، وبالتالي صحيحة ثابتة . فتكون مبررات الشك قد تحولت نوعاً ما الى اسباب ترجح صحة نسبة الأثر المذكور .

ولنا في القرآن افضل الشواهد واتمها على الاسلوب الانشادي بما فيه من انواع الطباق والاسجاع الوافرة ، والايقاع الموسيقي الشجي ، والمراجعات المعنوية واللفظية كما في سورة الرحمن خاصة حيث يتردد مقطع « فبأي آلاء ربكما تكذبان » ٣١ مرة حتى يدخل بالقوة اذهان السامعين فيحفظونه طويلاً . وكذلك القول عما تجره هذه المراجعات من الاساليب كالتوقف البادي مثلاً في اول سورة « الحاقة » واول سورة « القارعة » :

الحاقة . ما الحاقة ? وما ادراك ما الحاقة ? . . .
القارعة . ما القارعة ? وما ادراك ما القارعة ? . . .

هذه لمحة اجمالية على عناصر « الانشاد » وطرق مظاهره عند العرب .

بقي علينا الدلالة على ان الجاهليين لم يكونوا يميزون في «انشادهم» بين الشعر والنثر بالمعنى الذي نفهمها به اليوم :

اجل انهم كانوا يسمّون منشدهم « شاعراً » وانشادهم « شعراً ». غير ان هذه اللفظة لم يكن لها من المعنى ما حدّدناها به في عصرنا حتى اصبحت تخالف معنوياً ما كان يُقصد بها ؛ بل اصبحت تضيق عمّا كانت تتسع له . والبرهان على ذلك ان العرب ، في عدم تمييزهم بين انواع انشادهم المختلفة ، ظلّوا مدّة غير قصيرة يعتقدون ان القرآن طريقة من الانشاد كباقي طرق منشديهم الاقدمين ، من اصحاب قصائد وخطباء وكهّان ، الذين كانوا يسمّونهم « شعراء ». فاخذوا ينعتون النبي « بالشاعر » تارة « وبالكاهن » اخرى — وهذا النعت الاخير يدلّ ايضاً على عدم تفريقهم بين « الشعر » « والسجع » المنسوب الى الكهّان — نستشهد على ذلك بالقرآن نفسه وقد اشار الى قول العرب المشركين في النبي : « ويقولون : أَئِنّا لتاركو الهتنا لشاعر مجنون ! »[١] او « بل هو شاعرٌ . . . »[٢]

حتى خشي النبي نتيجة هذا الخلط بين القرآن « والشعر » القديم . فعمل على تلافي الخطر معلناً انه ليس بشاعر ولا بكاهن ، وان القرآن ليس من الشعر في شيء . فجاءت الآيات : « انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهنٍ قليلاً ما تَذَكّرون . »[٣] — « فذكّر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، ام يقولون شاعرٌ نتربّص به ريب المنون . قل تربّصوا فاني معكم من المتربّصين . »[٤] وزيادة لتقرير الفرق جعل القرآنُ « الشعراء » مع الذين « تنزّل عليهم الشياطين » وتابع : « والشعراء يتّبعهم الغاوون ، ألم ترَ انهم في كل وادٍ يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون . »[٥] وهناك ايضاً الآية المشهورة : « وما علّمناه الشعر وما ينبغي له ، ان هو الّا ذكرٌ وقرآن مبين . »[٦] ولنلاحظ هنا ان هذه الآية لا تذكر ان القرآن عكس الشعر ، اي ما ندعوه اليوم « بالنثر » . فان هذه اللفظة لم تكن بمعروفة

---

١) ٣٧ [الصافات] ٣٥ ٢) ٢١ [الانبياء] ٥
٣) ٦٩ [الحاقّة] ٤٠ – ٤٢ ٤) ٥٢ [الطور] ٢٩ – ٣١
٥) ٢٦ [الشعراء] ٢٢٤ – ٢٢٦ ٦) ٣٦ [يس] ٦٩

بمعناها الحالي ولا ما تنطبق عليه في عرفنا معهوداً[١].

فتتابع هذه الآيات لاقرار المعنى الواحد يدلّ على الوهم المتمكّن من العرب في ما خصّ اعتبار آثارهم الفنّية وتحديد انواعها ، وبالتالي على ميلهم القوي الى الخلط بين القرآن والشعر[٢] . نستنتج ذلك ايضاً من بعض الحوادث الفردية بعد الاسلام الدالة على ان الاعراب ظلّوا يخلطون بين ابيات الحكم والامثال الجاهلية من جهة ، وآيات القرآن من جهة اخرى حتى عصر الامويين[٣].

والأغرب ان هـذا الخلط لم يقف عند اجلاف البدو والجهلة ، بل كان يتجاوزهم الى الخطباء ، وهم علماء المسلمين اذ ذاك . فقد ذكر ابن عساكر[٤] حادثة يؤخذ منها ان بعضهم كانوا في اثناء خطبهم على منابر الجوامع وفي مجتمعات المؤمنين ، يوردون احياناً الابيات الحكمية او الامثال السائرة ظانّين انها آيات منزلة .

ومن البراهين على شمول لفظة « الشعر » ما تقدّم ذكره من الآثار الادبية أن العرب لم يكونوا يميّزون بين السجع المنسوب الى كهّانهم وعرّافيهم والرجز الذي اصبح فيما بعد بحراً من بحورنا الشعرية ، بل كثيراً ما استعملوا الكلمتين على الترادف ، كما استعملوا لفظتي « الشاعر » و« الكاهن » مترادفتين ايضاً .

هذا ولعلّ افضل مثال « للانشاد » ، كما حدّدناه ، تلك الخطب القديمة التي تُنسب الى قُسّ بن ساعده والى غيره من خطباء الجاهليـة ، والتي يشكّ في

١) وانما غالى الدكتور طه حسين اراد هذا الفرق الدقيق حين قال ان القرآن « لا هو شعر ولا هو نثر وانما هو قرآن » وهي الجملة التي تهكّم عليه بسببها تلميذه الدكتور زكي مبارك (راجع الصفحة ٣٢٥ من هذا العدد) . ولم يكن محقاً في ذلك ، على رأينا .

٢) اطلب في موقف النبي من الاعراب ، وفي رغبته الشديدة في اقرار الفرق بين القرآن « والشعر » النديم ، ختام مقال للاب لامنس بعنوان : P. H. Lammens, *Caractéristique de Mahomet d'après le Qoran* [Recherches de Science religieuse, 1930, p. 416-439]

٣) الاغاني ١٦ : ١١ — واطلب ايضاً :
P. Lammens, *le Berceau de l'Islam*, p. 230, note 1.

٤) ابن عساكر : التاريخ الكبير ٥ : ٨٢

صحة نسبتها الكثيرون من ارباب الادب والنقد في عصرنا ، بسبب ما فيها من اساليب السجع والموازنات الصناعية . ونحن نرى ان هذه الظواهر ، الماثـلة كلها الى اصول « الانشاد » باسباب قوية ، تظهر ، على عكس رأي الشاكين، اسباباً قوية ترجح صحة نسبة تلك الآثار . وسواء أثبتت هذه النسبة أم لا ، فان تلك الخطب تمثل لنا الطريقة القديمة في التأليف الادبي ، لأنها ان كانت منحولة ، فلا بدّ من ان يكون صانعوها وناحلوها جروا فيها على امثلة متقدمة مثلت في عرفهم الخطب القديمة . فتكون والحالة هذه صورة لمين مفقود . ونحن انما يهمّنا درس الاسلوب سواء أظهر في الاثر الاولي ام في صورته :

تدرس هذه الخطب فنتحقق انها تبدأ كلّها بالسجع المتوازن . ثم تتّسع الفواصل ، في بعضها ، وتتقارب شيئاً فشيئاً في ترتيب وقع النغمات حتى تصبح الجمل مقاطع متعادلة الطول ، متوافقة في موقع النبرات ، فتتحول الى اشطر عروضية تامة ، وتتحوّل مواقع السجع الى قواف سويّة ، فينتهي « الانشاد » بالشعر الموزون كما نفهمه في عصرنا . نرى ذلك في خطبة قسّ الشهيرة التي روى قسماً منها ابو بكر على ما يُقال ، ونقل شيئاً منها القلقشندي في صبح الاعشى[1] . ولرواة العرب اختلاف في ترتيبها ناتج عن اهمال بعض فقرها او عن زيادة بعض السجعات . على انها قد لا تبعد في الأصل عن هذا الرسم . نوردها مرتبة على طريقة يظهر فيها اتساع الفواصل وتوازنها واقترابها شيئاً فشيئاً من تفاعيلنا العروضية حتى تتصل بالشعر الموزون ، فيلمس فيها المطالع الصلة او الواسطة بين الشعر والنثر التي قلنا انها من صفات « الانشاد » . قال قسّ :

. ايها الناس

اسمعوا   وعوا
انظروا   واذكروا

من عاش   مات   من مات   فات
وكل ما هو آتٍ آتْ

---

١) طبعة مصر سنة ١٣٣١ هـ . ١ : ٢١٢

ليلٌ داجٍ ونهارٌ ساجٍ
وسماءٌ ذات أبراجٍ

الّا ان ابلغ العظاتْ السير في الفلواتْ
والنظر الى محلّ الامواتْ !

ان في السماء لخبرا ! وان في الارض لعبرا !
مالي ارى الناس يذهبونْ فلا يرجعون ؟
ارضوا هناك بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا ؟

. . .

يا معشر اياذْ
اين الآباءُ والاجدادْ ؟ واين المريض والعوّادْ ؟
واين الفراعنة الشدادْ ؟

اين من بنى وشيّدْ ؟ وزخرف ونجّدْ ؟
وغرّه المالُ والولدْ ؟

اين من طغى وبغى ؟ وجمع فاوعى ؟
وقال : انا ربكم الأعلى ؟

ألم يكونوا اكثر منكم اموالا ؟ واطول منكم آجالا ؟

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر !

لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادرُ ، ورأيت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابرُ ،
لا يرجع الماضي اليّ ولا من الباقين غابرُ ، ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائرْ !

وانّنا نلمس الصلة نفسها بين الشعر والنثر في القرآن ، ولا سيما في السور المكية منه ، حيث كانت تتدافع العواطف القوية والتخيلات الشعرية ، ويبذل النبي جهده في اقرار تعاليمه في اذهان العرب . فهناك كثير من التعابير الموزونة البادية اشطرًا سوية ، حسب عروضنا الحالي ، تأتي على الغالب بعد هياج العاطفة ، فتمهّد لها الطريق الاسجاع الموسيقية . من ذلك في سورة الزلزلة :

اذا زُلزلت الارضُ زلزالها . وأخرجتِ الارض اثقالها . وقال الانسان : مالها . يومئذٍ تحدّث اخبارها . بانّ ربّك اوحى لها .

وفي سورة الهُمَزة :

ويل لكلّ همزةٍ لُمزة . الذي جمع مالًا وعدّده . يَحسَبُ أن ماله أخلدهُ .

وفي سورة تبّت :

تبّت يدا ابي لهبٍ وتبّ. ما اغنى عنه ماله وما كسَبْ !..

وفي سورة العصر :

ان الانسان لفي خُسْرٍ...

وفي سورة عبس :

قُتل الانسانُ ما اكفرَهُ !

وقد يأتي التعبير الموزون او الشطر العروضي في اول السورة لإيثار شدَّة الوقع والتنبيه ، كما في سورة الكوثر :

إنا اعطيناك الكوثر. فصلِّ لربّك وانحر. انّ شانئك هو الأبتَرْ.

وكثيرة هي المقاطع التي توافق اوزاننا العروضية في القرآن وفي الخطب والاسجاع . واكثر منها المقاطع الموسيقية التي لو نُظر فيها ودُرست من حيث العَروض كما دُرست القصائد الجاهلية ، لأمكن ان توجد لها اوزان لم يفكّر بها الخليل واصحابه . ومن هذا النوع اكثر السور المكيّة القصيرة ، وسورة الرحمن التي مرّ ذكرها .

وكذلك القول عن الامثال القديمة التي تداولتها الالسن في مواقع مختلفة ، والفتها الاسماع ، وصقلها الاستعمال حتى اصبح اكثرها لا يفرق في شيء من حيث توازن النبرات عن اشطر العَروض الحالية . وهذا شيء منها :

ان البغاثَ بأرضنا يستنسرُ !

وعند جُهينة الخبرُ اليقين !

في بيته يُؤتى الحَكَمُ !

ان البلاء موكَّلٌ بالمنطقِ !

عند الصباح يحمدُ القومُ السُّرى !

قطعت جهيزة قولَ كلِّ خطيبِ

كل فتاةٍ بابيها مُعجَبَهْ !

فان غداً لناظره قريبُ !

الى حيث القت رحلها امُّ قشعمِ !

ان الشقيَّ وافدُ البراجم
اياكِ أعني فاسمعي يا جاره !
انجزَ حرٌّ ما وعدْ !

الى غير ذلك مما يطول بنا سرده . ولو درسنا ما ورد عن قدماء العرب من الامثال والخطب والاسجاع لرأيناها كأنها موسيقية الوقع يمكن ردّ كثير منها الى اوزاننا الحاضرة ، وردّ الباقي الى اوزان جديدة نولّدها بتوفيق جديد بين الأسباب والاوتاد . وان كان الخليل قد اقتصر على خمسة عشر وزناً فلأنه لم يجد الامثلة الكافية من الآثار القديمة لغير ذلك من الاوزان ، فلم يقدر ان يجرّد مما وقف عليه الّا ما جرّده من القواعد والبحور المعروفة . حتى جاء بعده الأخفش فوقف على امثلة « إنشادية » لم يمكنه ردّها الى البحور المقرّرة فحلّلها وقطّعها واستخرج منها بحرًا جديدًا دُعي المتدارك . ولو تتبّع هو او غيره كلّ ما وصل من التآليف الانشادية ، لكان لنا اليوم غير ما تقدم من البحور ، ولادخلنا في هيكل الشعر كثيرًا من الآثار الجاهلية التي يجعلها الادباء في باب النثر ، والتي سمّيناها بمولّدات الانشاد .

وقد تجاوزنا في ايرادها عصر الجاهليين الى صدر الاسلام . لان هذا النوع من الفنّ الادبي لم يختلف في العصرين ، لما اختصّ به العصران من ظروف واحدة كانت تؤثر في الخطيب او « المنشد » فيكيّف كلامه حسب تأثيرها . واهم هذه الظروف ان الكتابة ، على قلّة انتشارها ، لم تكن تستعمل في تدوين الآثار الفنية ، فكان الادب لا يزال في عصره الشفهي . وكانت آثاره لا تزال من نوع «الانشاد» .

هذا ما رأينا ذكره من الآراء والملاحظات « حول النثر الجاهلي » . راجين من ارباب النقد ان يحملوها على محمل الاخلاص ، وان ينتبهوا لها ان رأوها جديرة بالانتباه .

شذرات

يوبيل صحافي

اتانا من الاستاذ انطون بك شحيبر ، رئيس لجنة اليوبيل ، ما يلي :

« بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على اشتغال حضرة العالم العامل الاب لويس معلوف في الصحافة بتوليه جريدة « البشير » رأى قادرو جهاده وجوب الاحتفاء بيوبيله الصحافي الفضي فألفوا لجنة من السادة الاتية اسماؤهم مرتبة على احرف الهجاء مع حفظ الالقاب :

ادمون وهبه ، الدكتور اسد رستم ، الدكتور امين الجميل ، انطون شحيبر ، توفيق حسن الشرتوني ، جرجي نقولا باز ، جورج يزبك ، حليم دموس ، خليل الخوري كسيب ، دعيس المر ، ميشال شبلي ، نجيب ليان ، يوسف نجا ، يوسف غصوب .

وانتخبوا حبيب طراد رئيساً فخرياً .

وقد باشرت اللجنة المذكورة عملها بتهيئة حفلة ادبية تلقى فيها اربع خطب في مواضيع عمومية تناولها جهاد الاب معلوف وهي : الصحافة ، اللغة ، التعليم ، الاخلاق . (وقد عُيّن موعد الحفلة في ٢٢ ايار ١٩٣٢)

امدَّ الله بعمر المجاهد الكريم لخير الانسانية »

فالمشرق يشترك مع اعضاء اللجنة الافاضل بقدر جهاد المحتفى به ، ويقدم له التهانئ القلبية والتمنيات الصالحة .

وفود الحجاج الى مكة في هذا العام

لم تخلُ الازمة العالمية من تأثير شديد على حركة الحجّاج الى مكة في هذا العام ، وذلك على رغم الدعاية الواسعة التي قامت بها حكومة ابن سعود . ولكن الاوساط المكية تظهر كل تفاؤل بموسم هذه السنة مبشرة بلسان جريدة « صوت الحجاز » ان الحجاج الذين وفدوا عن طريق البحر بلغ عددهم حتى ١١ نيسان (٥ ذي الحجة) ٢٥٦٧٠ .

وقد اتى الملك ابن سعود بنفسه الى مكة في غرة ذي الحجة (٧ نيسان). فأدى فريضة الحج واستعرض فرسان الجيش، وسمع قصائد التهنئة وخطب الترحيب...

سيارات الكويت في شوارع مكة

وقد جاء في «صوت الحجاز» نفسها، وهي جريدة حديثة تصدر في مكة، ما يلي: (بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٢):

قدم الى مكة من الكويت لاداء فريضة الحج حضرة السيد عبد الوهاب ابن خلف باشا النقيب عن طريق البر على متون السيارات. ولاول مرة في التاريخ تفد سيارات الكويت الى مكة، ويراها الناس سائرة في شوارعها.

وبهذه المناسبة نذكر انه وصل الى علمنا ان حكومتنا السنية اجلت بحث فتح طريق السيارات من العراق الى الحجاز الى العام القابل، حيث وردت اجابة حكومة العراق على اقتراح حكومتنا في شأن ذلك متأخرة، وقد ضاق الوقت وقرب انقضاء زمن الحج.

قيمة بعض الجبال العالية

اننا لا نتكلم عن قيمة الجبال من حيث تركيبها الجيولوجي وما تحتوي عليه احشاؤها او اراضيها من موارد الرزق، بل من حيث هيئتها الخارجية وجمالها الذي يجذب السياح والزوار. فان الجبل الابيض مثلاً، وهو اعلى قمة في جبال الألب، من اعظم موارد الكسب. فانه استدرج لزيارته سنة ١٩١٣ لا اقل من ١,٠٣٤,٠٠٠ سائح، زار منهم ٤٠٩,٠٠٠ المنطقة الفرنسوية من الجبل، و٢٧٥,٠٠٠ المنطقة الايطالية، و٣٥٠,٠٠٠ المنطقة السويسرية. فلو قدرنا ان كلاً من هؤلاء السياح انفق ٥٠ فرنكاً ذهبياً فقط، وهو اقل ما يمكن تقديره لنفقات النقل والاقامة وشراء بعض الحاجات، لبلغ مجموع النفقات قريباً من ٥٢ مليوناً من الفرنكات الذهبية او ٢٥٠ مليوناً من الفرنكات بقطع اليوم.

فهل يُتاح لنا ان نرى جبل صنين او جبل الارز يامان شيئاً من ذلك؟

مطبوعات شرقية جديدة

Jean (Charles-F.): La religion sumérienne d'après les documents sumériens antérieurs à la dynastie d'Isin (— 2186). *Paris, Geuthner, gr 8° de XVI-255 pp.* 32 *pl.* 1931. *Prix* : 100 *f*.

الديانة الشومرية

قد يكون مؤلف الكتاب معروفاً لدى بعض قرائنا الشرقيين. وهو اب عازاري زار بيروت والشرق ونشر بضعة ابحاث مفيدة في الديانات والآثار الشرقية القديمة منها مؤلفه الكبير المعنون «البيئة الكتابية قبل يسوع المسيح» (*Le milieu biblique avant J. C.*) نشره في مجلدين سنة ١٩٢٣. وها هو يعرض اليوم لموضوع خاص ولكنه جزيل الفائدة، لانه يدرس تاريخ الشرق الديني في عصره الاقدم، وهو موضوع اصبح من الممكن بحثه اليوم بفضل ما اكتشف من الرقم ولآثار. ولا يخفى ان بمثل هذه الابحاث يتوصل العلماء الى درس اصول الديانات بين البشر. وعليه فيجب ان نثني الثناء كله على الاختصاصيين بحلّ الخطوط المسمارية لما يتكبدون من الجهد، ولما يضعون بين ايدي اللاهوتيين والفلاسفة والمؤرخين من وثائق مهمة قد تكون ظلت مجهولة لولاهم.

يظهر لدينا الشومريون، مخترعو الخط المسماري، بواسطة كتابات راقية الى الالف الرابع ق.م. وذلك قبل الاكاديين او الساميين من بابليين واشوريين. وقد تكون هذه الشعوب قد عاشت مع الشومريين جنباً الى جنب، ولكن مدنيتها كانت مختلفة عن مدنية الاولين، ان لم نقل منحطة عنها. وفي اوائل الالف الثالث كان الشومريون يحتلّون بلاد كلدو السفلى. فغلبهم الاكاديون في القرن السابع والعشرين. وهو اول عصر يذكره الاب جان، في ما خصّ الديانة فيسميه «العصر الشومري السابق». ولكن لا تمرّ ثلاثمائة سنة حتى نرى الشومريين ينهضون مع ملكهم الشهير غوديا من تللو فيستعيدون

بلادهم الاولى ويبدأون عصراً حافلاً بمظاهر الازدهار دعي « العصر الشومري الجديد » . ولكن سرعان ما يقضي العلاميون على هذه المدنية اذ يكتسحون نحو السنة ٢٣٠٠ ، فيسقطون الدولة الثالثة في أور ويستاقون اسيراً ملكها الاخير المدعو إبي سين .

يهتمّ المؤلف بهذا العصر المزدوج فيكتب تاريخه الديني بادئاً بتعداد الآلهة، ذاكراً تطورها ، ملخصاً المبادئ اللاهوتية المستخلصة من ذلك . ثم يفرد عدة فصول لذكر طرق العبادة ، والامكنة والازمنة الداخلة في الحرم ، والذبائح وما كان يقوم بالخدمة الدينية من كهنة وكاهنات ؛ ويختم بنظرة في الحياة الدينية والاخلاقية .

هذا ولا يمكننا ان ندخل في دقائق البحث . على اننا لا نشكّ في ان من يطلع من القراء الكرام على الموادّ المحللة والمستخلصة في هذا الكتاب يشعر بفائدة ولذة حقيقيتين اذ يتنقل في تلك الصفحات الواضحة الحسنة الترتيب، وقد زيّنتها لوحات مشتملة على اكثر من مائة صورة منتخبة معروضة على طريقة تفيد ذوي الثقافة من جمهرة القراء اكثر من فائدتها الاختصاصيين .

ثم ان المؤلف ، وهو من المكلّفين القاء الدروس في مدرسة اللوفر ، اعاد نظره في موضوعه في تذكرة قدّمها الى مؤتمر المستشرقين الاخير المنعقد في ليدن في ٩ ايلول ١٩٣١ . وهو البحث الذي ظهر في مجلة البابليات (*Babyloniaca*, t. XII p. 57) يدرس فيه تطوّر الديانة الشومرية حتى دولة إيسين ، متحقّقاً ان هذا التطوّر لا شكّ فيه وهو داخلي يجمع كثيراً من العناصر المختلفة ، يظهر كذلك منذ العصور السابقة للتاريخ حتى انه لا يمكن الباحث ان ينتهي الى شيء واضح ولا ثابت اكيد عن هذه الاصول. س . ر .

Furlani (G.): La Religione babilonese-assira. *vol. II. I Miti e la vita religiosa. Bologna, Zanichelli, petit 8° de X-434 pp.* 1929. *Prix : L.* 30.

الديانة البابلية - الاشورية : الجزء الثاني

تقدّم لنا وصف الجزء الاول من هذا التأليف في بسط الديانة البابلية -

الاشورية (المشرق ٢٧[١٩٢٩] ٧١٤) . وها ان المؤلف يبدأ الجزء الثاني بتواريخ الآلهة والاشخاص الخرافية والاساطير . ثم ينتقل الى الاعتقاد بالقدر والعرافة والسحر والرقى والعزائم . ويهتمّ بعد ذلك بالازمنة المقدَّسة والاعياد الدينية والاحتفالات والطقوس واقامة الشعائر والاسرار . ويخصّ فصلاً مستقلاً بالصلاة ، وآخر بالذبيحة ، وثالثاً بالخطيئة. ثم يعرض للدفن والحياة الاخرى فيتبسط في شرحها . ويجمع في الفصل الاخير بعض المعلومات عن سدنة الهياكل والهياكل نفسها ، وعن الاعداد المقدّسة ، واسماء الاعلام المنسوبة الى الآلهة . وينهي كل فصل ، شأنه في الجزء الاول ، بذكر المآخذ المهمة.

ولكن يؤخذ على كتاب من هذا النوع انه لا يهتمّ الاهتمام الكافي بتمييز الحوادث في ترتيبها التاريخي . وعدا هذا فالمؤلف ينال غايته ، ولا سيما بالنسبة الى القرّاء الايطاليين ، ولم يكن من السهل عليهم درس هذه الموضوعات في لغتهم. س . ر .

Dom. Prümmer O. P. : Manuale theologiae moralis secundum principia S. Thomae Aquinatis in usum scholarum. *t. I, editio* 6ª *et* 7ª. *Friburgi Brisgoviae. Herder et C*º. 1931.

كتاب تعليمي في اللاهوت الادبي

فارق الاب پرومر هذه الحياة الفانية في ٩ حزيران ١٩٣١ ، بعد ان ملأ مركزه مدة طويلة استاذاً للحق القانوني واللاهوت الادبي ، وترك نتائج ابحاثه في مؤلّفين متين لا شكّ انهما يظلّان بين المؤلفات النفيسة في موضوعيهما . وكان قبل وفاته قد هيّأ طبعة جديدة لكتابه في اللاهوت الادبي وسلّم الجزء الاول منه للنشر . وها هو هذا الذي نعرضه للقرّاء ، وقد قدّمه حضرة الاب اوبرسيبراس (Obersiebrasse) ، زميل المؤلف الراحل ، بكلمة وجيزة ذكر فيها ان هذه الطبعة الجديدة تسير على الطريقة نفسها المعروفة في الطبعات السابقة ، وانها استفادت من قرارات المجامع الرومانية الاخيرة ، ومن المؤلفات المنشورة مؤخراً.

اما نحن فاشرنا سابقاً (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ٧٠٤ و٢٧ [١٩٢٩] ١٤٩ و٧٠٨)

الى كل ما امتاز به هذا الكتاب من صفات حسنة بما يتوسع فيه من عرض المبادئ ، وحصر نطاق الحوادث الخاصة وطريقة حلّها . وهو يتبع طريقة القديس توما الاكويني في التبسّط بشرح الفضائل ، والايجاز بذكر الخطايا ، معتبرًا بكل حقّ ان من يعرف طبيعة الفضائل وطرق استعمالها يحكم بسهولة في شأن الرذائل المنافية لها . وعلى الجملة فالكتاب جزيل النفع للكاهن لا في ما خصّ سرّ الاعتراف فحسب ، بل في واجبات الوعظ والارشاد ايضاً . هذا ولم يتراجع المؤلف عن الاكثار من الشواهد المأخوذة من تآليف القديس توما ، وهو يستشهد احياناً بآثار القديس الفونس دي ليغوري وبغيره من قدماء الاخلاقيين ، دون ان يضرب صفحاً عن محدثيهم . وينتهي هذا الجزء بفهرس ابجدي لجميع المواد يسهّل التفتيش على طلّاب المواضيع المختلفة. ي.م.

Martin Sprengling and William Creighton Graham : Bar-Hebraeus' Scholia on the old Testament. *Part I, Genesis ; Samuel.* [*The oriental Institute of the University of Chicago, Oriental Institute publications, vol. XIII*] *In 4° de XVI-394 pp. University of Chicago Press,* 1931. *Prix* : 10 *dollars.*

تفسير ابن العبري للعهد القديم

كان تفسير الكتاب المقدّس ، في عصر ابن العبري ، افضل واسطة لاظهار مقدرة المفسرين وعلومهم المتنوعة . اذا عرفنا هذا نقدر قيمة هذا التفسير كما قدرها ناشراه ، فأظهرا لطلاب هذه الابحاث كنزًا ثميناً . وقد طبعاه بالاستناد الى مخطوطة محفوظة في المكتبة المديسية في فلورنسة تحت رقم ٢٣٠ ، فنشرا صور الصفحات مع ترجمة انكليزية وحواشٍ وتعاليق نقدية وافرة استندا فيها الى ١٩ مخطوطة اخرى. فاتى عملهما اثرًا نفيساً حقق رغبة الكثير من علماء السريانية ، منهم المرحوم الاب شيخو ، وما كانوا يتمنونه من زمن طويل (راجع المشرق ١ [١٨٩٨] ٤٥١) . فاستحقا الشكر الجزيل . والامل انهما يتمان العمل العظيم الذي باشراه.

ب. م.

Bessoades (M.) : **Marie Madeleine.** *in-8° de VIII-136 pp. - Casa editrice Marietti, via Legnano 23, Torino* (118) - 1931. *Prix* : 7 ₣.

مريم المجدلية

هي ترجمة جديدة استند فيها المؤلف الى جميع المصادر الانجيلية والتلمودية والتقليدية والى غيرها من كتابات العلمانيين . على اننا لا يمكننا القول انه استعمل في ذلك اساليب النقد التاريخي . وقد يرى انه ليس بحاجة اليها ، وهو يكتب لجمهرة القرّاء .

Jean Lacau S. C. J. : Précieux trésor des indulgences. Petit manuel à l'usage du clergé et des fidèles. 2ᵉ *édit. revue in-16 de XVI-482 pp. Casa editrice Marietti, Torino.* 1932. *Prix* : 15 ₣.

كتاب في الغفرانات

يُقسم هذا الكتاب الى قسمين يعرض الاول منهما لعقيدة الغفران وماهيته وذلك بكل ايجاز ، مفسحاً المجال في القسم الثاني لذكر الاحكام الاخيرة بشأن الغفرانات في ما خصّ الاعمال الخيريّة والتقوية والاخويّات والشركات . مؤلفاً من ذلك دليلاً اميناً سهل الاستخدام وجزيل الفائدة .

R. Plus : Le Baptême dans l'archéologie et l'art chrétien.
Félix Klein : L'enfance du Christ et sa vie cachée.
2 volumes de la Bibliothèque catholique illustrée à 5 ₣ l'un. Bloud et Gay, Paris.

١ – المعمودية في الآثار القديمة والفنّ المسيحي
٢ – طفولية المسيح وحياته المستورة

هما مجلّدان من مجموعة « المكتبة الكاثوليكية المصوّرة » يمتازان بما امتاز به ما سبقهما من حسن الاختيار ودقة الاسلوب وجمال الطبع . فان كلّاً منهما يلخص اهم ما يفيد المطالع في الموضوع المذكور مزيّناً ذلك بعدد من الصور الموافقة ، اكثرها معروف دون شكّ ولكنها مجموعة كلها على طريقة مفيدة متقنة .

L. Dudley Stamp : A Regional Geography. Part V Europe and the Mediterranean, *with* 230 *maps and diagrams. Price* 6/6, 1931. *Longmans, Green and C°, London.*

كتاب في الجغرافية

هي مجموعة في الجغرافيــة شملت خمسة اقسام آخرها المجلّد الحاضر في اوربّة والبحر المتوسّط . وضعه المؤلّف لطلّاب السنين الاولى في الجامعات او لتلامذة السنين الاخيرة في المدارس الثنوية ، باسلوب سهل واضح موجز مزيّن بالكثير من الخرائط المطبوعة ضمن النصّ . وختمه بعدد من الاسئلة المطروحة في الامتحانات .

ج . ل .

Hugues Vincent O. P. : L'authenticité des Lieux Saints. *in* 12, 119 *pp*. 1932. *Paris, Gabalda et Fils.*

تاريخية الاماكن المقدّسة .

ألّف هذا الكتاب لخدمة الزوّار والسيّاح في الأماكن المقدّسة ، وغايته ان يعرض امامهم معلومات صحيحة عن اشهر تلك الاماكن . وقد قسمه المؤلّف الى قسمين : ذكر في الاوّل ما يُفهم بالمكان المقدّس والبراهين على تاريخيّته ؛ واشار في الثاني الى اشهر هذه الاماكن . فافاد كل الافادة بذكره تعريف الاماكن وميزاتها قبل ان يفحص تاريخية المشهور منها كمغارة بيت لحم ، والجلجلة ، والقبر المقدّس ، وهيا كل جبل الزيتون ، وعلّية صهيون ، وهياكل الجليل ، ومعابد العذراء ، ومحلّ استشهاد القديس اسطفانوس .. وغير ذلك من المحلّات التي يدرسها ويدقّق فيها حتى ان المطالع لا ينهي الكتاب الّا وهو من رأي المؤلف القائل : « ليست الاماكن المقدّسة في فلسطين بالاساطير الصبيانيّة ، ولا بحكايات المضحكين ، ولا باختراعات الجهّال ، ولا بمناورات اصحاب الغايات » (ص ١١٦) .

ج . ل .

ديوان رامي

نظم احمد رامي

مطبعة فؤاد، مصر، ١٩٣١ – ٢٥٥ ص. صغيرة

يجمع الشاعر المصري المعروف، الاستاذ احمد رامي، في هذا الديوان كل ما نظمه بين السنتين ١٩١٦ و ١٩٣٠، من قصائد ومقطّعات تنتسب كلها الى الشعر الغنائي، وتتفرّق متنوّعة من غزل رقيق، الى وصف حيّ، الى تلهف مؤلم، يمدّها من الشباب عاطفة قويّة، ومن الخيال صورة جليّة جميلة غالباً، ومن الصناعة اسلوب موسيقي في الكثير من مظاهره. فيتنقّل المطالع بسهولة بين تلك المقاطع. وهو لا يكاد يأسف لمعنىً مبتذل، او لصورة ناصلة اللون، او لعاطفة متكلّف فيها، او لنفس شعري قُطع قبل استتمامه، حتى تستوقفه القصائد الجديرة بالذكر، وهي عديدة في هذا المجموع الصغير، فينسى بها كل ما تقدّم من الهنات. ويشعر بروح الشاعر تتسلسل بين روعة الحب ولوعة الأسى، تارة تسكن الى «اماني الشباب» فتوقع تذكارات «الحبّ المتبادل» و«الغرام القديم» على «قيثارة الامل»، وطوراً «يحيّرها النسيان» وتتحقق زوال الاحلام، و«رحيل الجمال» و«هجر القصور» فتنكمش ولا ترى الّا «الوتر البالي» ترهقه «بانغامها السجينة». وقد تتراكم عليها المصائب، وتنال منها الاحزان، فتطهّرها من الشوائب، وتعوّدها عدم الاهتمام بظواهر الحياة العرضية. حتى اذا «اخذ الشاعر اذنه»

... بالنواح فاصبحت — تستعذب الأنّات في الأنغام

(وترك عينه للدموع) فاصبحت — في الضوء آنسةً وفي الاظلام

ادرك قمّة الشعر الحيّ القائم على الحزن والاسى، فجنى «نعمة الآلام»، قائلاً:

الحزن ادّبني وهذّب خاطري — وانالني افق الخيال السامي ...

وغرست في قلبي الشجونَ، فاثمرت، — وجنيت منها نعمة الآلام.

هذه بعض المظاهر المؤثّرة في الشعر العصري الذي يعرضه علينا اليوم الاستاذ احمد رامي. وقد وددنا لو افرد لمقطّعاته الزجلية (ص ٢٢٩–٢٤٩) كرّاساً خاصاً، وترك الديوان للشعر العربي الصرف.

ف. ا. ب.

ديوان جِران العَود النميري

نشره القسم الادبي من دار الكتب المصرية ،
مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣١ – ٦٤ ص . كبيرة

اسم الشاعر عامر بن الحرث النميري ، كان قليل الحظّ من امرأتيه ، فاتخذ سوطاً من جِران العَود (والجِران : مقدَّم عنق البعير من مذبحه الى منحره ، والعَود : البعير المسنّ) ليضربهما به او ليخيفهما فقط ؛ لأنهما كثيرًا ما ضربتاه ، على ما يظهر من قوله في الديوان (القصيدة الاولى) . ولقد جرى له معهما مهاترة ، فقال يهدّدهما :

خذا حذرا ، يا خُلّتيّ ، فانني رأيت جِران العَود قد كان يصلحُ

اي : رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب . فلُقّب « بجِران العَوْد » .

وشعره لطيف انيق ينحو به النحو القصصي ، ويدقّق في الاوصاف على طريقة الشعراء الجاهليين ، مع ابداء بعد الملاحظات الحسنة الموافقة في اخلاق النساء خصوصاً . وقد مال اليه ابو العلاء المعرّي ، ودعاه « بالشاعر المُحسن » (رسالة الغفران [طبعة الكيلاني[٢]] ١٢٩) . روى شعره ابو سعيد السكّري من ادباء القرن التاسع . فكان من ذلك ديوان صغير حُفظت نسخته في دار الكتب المصرية فنشرها القسم الادبي في الكتيّب الذي نصفه اليوم . وقد تضمّنت ، فضلًا عن بضع عشرة قصيدة او مقطوعة للشاعر المذكور ، قصيدةً رائية للرحّال ، وهو زميل جِران العَود في اتباع النساء ، وفي احتمال شرّهنّ بعد الزواج . هذا والديوان يبدو بظهر طبعي غاية في الوضوح والاتقان .

ف . ا . ب .

مختار ديوان علم الدين أَيدَمُر المُحيَوِي

نشره القسم الادبي من دار الكتب المصرية ؛
مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣١ – ٦٨ ص . كبيرة

وهذا الكتاب ايضاً من آخر منشورات القسم الادبي في دار الكتب المصرية ، يمتاز بما امتاز به سالفه من متانة الورق ، ووضوح الحرف ، وجمال الطبع ، وضبط الالفاظ التي قد تشكل على المطالع . وقد خُصّ بنشر مختار

من شعر علم الدين أيدمر المحيوي التركي من شعراء القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر)، عاش في ظلّ الدولة الايوبيّة وعاصر بعض شعرائها كبهاء الدين زهير، وجمال الدين بن مطروح وغيرهما، وخصّ اكثر شعره بمدح امرائها، جارياً في بعض مدائحه على اسلوب الموشّحات المنتشر في عصره. وقيمة الديوان تاريخية اكثر منها شعرية. ف. ا. ب.

رواية ديك الجنّ الحمصي

المطبعة الحديثة، حلب، ١٩٣٠ – ٦٥ ص. صغيرة

هي حكاية الشاعر عبد السلام بن رغبان الملقّب بديك الجنّ الحمصي «الذي احبّ وقتل وندم ثم مات.» كتبها الشاعر نسيب عريضه مستنداً فيها الى ما يروى من اساطير ديك الجنّ المذكور، والى خياله وعاطفته خصوصاً، ونشرها في مجموعة الرابطة القلمية في نيويورك لسنة ١٩٢١. فاتى عليها السيد ميشال اوبري ووضعها بتصرف في قالب رواية تمثيلية. فان كان لا بأس بالقصّة يتفكّه بها المطالع فيرى شخصية ديك الجنّ المضطربة تظهر حائرة حتى الجنون من خلال خيال نسيب عريضه شاعر الحيرة والقلق، باسلوبه الحافل بالصور والتشابيه المنتقى احياناً حتى التكلّف؛ فان الرواية التمثيلية تظهر ضعيفة من حيث اصول الفنّ، على الرغم مما فيها من المواقف الغرامية القويّة، والعواطف الذائبة حتى السيلان التي قد تستخرج الدموع من مآقي جمهرة الحاضرين ولا سيا الجنس اللطيف، ولكنها لا تؤثر شيئاً في معتادي فنّ التمثيل الصحيح، بل قد تؤثر الاثر السيّ بما فيها من تضعضع الوحدة واضطراب نسق الحوادث وكثرة المفاجآت الغريبة ولا سيا في الفصل الثالث. وكأن واضع القصة بالقالب الرواني شعر بهذا النقص فقال في المقدّمة (ص ٣) «لست من الروائيين ولا من مهرة ارباب الفنّ التمثيلي... فارجو من قارئيها وممثليها ان يغضّوا الطرف عمّا يجدونه فيها من التقصير.» ونحن نبلّغ القرّاء الكرام هذا الرجاء... ف. ا. ب.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ آذار — ١٥ نيسان ١٩٣٢

لبنان وسورية — أجريت الانتخابات التكميلية في سورية (٦ نيسان) فتم بها انتخاب مجلس النوّاب . وهو يؤلف من ٦٧ نائباً منهم ٥٣ سنياً ، و٣ علويون ، و٣ من الارمن الارثوذكس ، واثنان من الروم الارثوذكس ، وواحد من كل من الاسماعيليين ، والارمن الكاثوليك ، والروم الكاثوليك ، والسريان الكاثوليك ، والسريان الارثوذكس ، واليهود.

* احتفلت الرهبانيتان المارونيتان اللبنانية والحلبيـة بمرور مائتي سنة على تثبيت البابا اكليمنضوس الثاني عشر لقانونهما (٣١ آذار ١٧٣٢).

* سافر نيافة السيد فريديانو جيانيني ، القاصد الرسولي الى رومية

* وصل وفد من قبل عصبة الامم لتحديد التخوم السورية-العراقية.

جبل الدروز — وفقاً لدستور الجبل ، عيّن الحاكم خمسة اعضاء يؤلفون نصف المجلس الحكومي بدلاً من خمسة انتهت مدتهم ، وذلك اعتباراً من ١ نيسان ١٩٣٢ لمدة سنتين.

مصر — عقد مؤتمر الموسيقى العربية من ٢٨ آذار الى ٣ نيسان وقد حضره ممثلون من جميع بلاد اللغة العربية ومن بعض انحاء اوربة وتبودلت فيه الآراء بشأن مستقبل الموسيقى العربية.

* كانت وزارة المعارف قد فصلت الدكتور طه حسين عن مركزه في الجامعة ، والحقته بوزارة المعارف . ثم قرر مجلس الوزراء فصله من خدمة الحكومة ، بحجة تحامله على الدين والآداب العامة.

العراق — اقيم في بغداد معرض عام للزراعة والصناعة افتتحه الملك فيصل في ١ نيسان ، وبلغ عدد زائريه في اليوم الاول ١٢٠,٠٠٠.

* ادخل نظام نقدي جديد على قاعدة النقد الاسترليني ورقاً وفضة ، فاستُبدل بالنقد الهندي.